أولاً تعريف السلف :

أ- تعريف السلف لغة :

قال ابن فارس[1] : السين ، واللام ، والفاء ، أصل واحد يدل على تقدم وسبق ، والسلف الذين مضـوا ، والقوم السُّـلاف المتقدمون[2]

و قال الزمخشري [3]: « سَـلَفَ القوم : تقدموا سُـلُوفاً، وهم سَلَفُ لمن وراءهم000وكـان ذلك في الأمم السابقة، والقرون السوالف»[4]

و قـال ابن منظـور [5] : « سَــلَفَ يَسْـلُفُ سَـلَفاً :أي مضـى، والقـوم السُّــلاّف: المتقـدمون ، والسـلف أيضاً: من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك ، الذين هم فوقك في السن والفضـل» [6]0

«وسَـلَفُ الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته ؛ ولهـذا سـمي الصـــدر الأول من التـابعين السلف الصالح»[7] 0

ومما تقدم يتبين أن معنى السلف في اللغة : التقدم والسبق0

1- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، (أبو الحسـين) ، من أئمة اللغة والأدب ، ولد عام 329 هـ ، وتوفي عام 395 هـ 0(السير 17/103) 0

2 - معجم مقاييس اللغـة: أبو الحسن بن فارس ، تحقيق وضبط عبد السـلام محمد هـارون ، ط3،(مصر : مكتبة ومطبعة مصـطفى البـابي الحلـبي وأولاده ، 1390هــ) 3/95 مـادة (سلف)0

3 - محمـود بن عمر بن محمد الخـوارزمي الزمخشـري (أبو القاسم ، جـار الله) النحـوي اللغـوي، المفسر المعـتزلي ، صـاحب الكشـاف ، ولد بزمخشر سـنة 467 هــ ، وتـوفي بجرجانية خـوارزم ليلة عرفة سـنة 538هــ ، له عديد من التصـانيف 0 (شـذرات الـذهب 4/118)

4 - أساس البلاغة : جـار الله أبي القاسم محمـود الزمخشـري ، (مصـر : القـاهرة ، مطبعة دار عالم الكتب المصرية ، 1341هـ) ، 1/ 453 ، مادة (سلف)

5 -محمد بن مكـرم بن علي بن أحمد الأنصـاري الأفـريقي ، ثم المصـري جمـال الـدين ، أبو الفضل ولد سنة 630 هـ ومات في شعبان سـنة 711هــ (الـدرر الكامنة في أعيـان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، بيروت : دار الجيل، 1414هـ ، 4 / 262)

6 - لسان العرب : محمد بن منظور (لبنان : بيروت دار صادر) 9/158- 159 مادة (سلف) وانظر الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية : إســماعيل بن حمـاد الجـوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (لبنان: بيروت دار العلم للملايين) ، 4/1386 ، مادة (سلف)

7 - لسان العرب9/159 ، مادة (سلف) ، وانظر : الصحاح ، 4/1386 ، مادة (سلف)

ب ـ معنى السلف في القرآن الكريم :

ورد ذكر لفظة (السلف) في القرآن الكريم ثماني مرات[1]، منها قوله تعالى:]000 فمن جـاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمــره إلى الله 00 [[البقرة : 275 الآية] ، وقوله سبحانه :] ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النسـاء إلا ما قد سـلف 00 [[النساء : 22 الآية]

قال الراغب الأصفهاني[2] في المفردات :« السـلف : المتقـدم، قـال :]فجعلنـاهم سـلفاً ومثلاً للآخرين [[الزخرف : 56] ؛ أي: معتبراً متقدماً 0

وقال 000 [: فله ما سلف **000** [[البقرة : 275 الآية] ؛ أي : تجافى عما تقدم من ذنبه0

وقال تعالى :] 000إلا ما قد سلف000 [[النساء : 23الآية] ؛ أي : ما تقدم من فعلكم ، فذلك يتجافى

---

1 - انظر :المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : وضـعه محمد فـؤاد عبد البـاقي ، ط2، (القاهرة دار الحديث، 1408) ، ص451

2 - الحسين بن محمـد بن المفضل ، المعـروف بـالراغب الأصـفهاني، (أبو قاسم) أديب ، لغوي ، مفسر ، توفي سنة 502هـ ، (معجم المؤلفين 4/ 59)

عنه، ويقال لفلان سلف كريم : أي آباء متقـدمون»[3] 0

وقال القرطبي [1] : « والسلف من تقدم من آبائك وذوي قرابتك »[2] 0

« والسلف المتقدمون يقال: سَلَفَ يَسْلُفُ سَـلَفاً، مثل طلب يطلب طلبـاً، أي: تقـدم ومضى ، وسلف له عمل صالح أي : تقـدم ، والقـوم السُّـلاَف: المتقدمون ، وسلف الرجل آباؤه المتقدمون، والجمع أسلاف ، وسُلاَّف» [3]

وبعد الوقوف على معاني (سلف) في القرآن الكريم ، يتبين أنها جـاءت في المعنى اللغوي نفسه ، وهـو: السبق والتقدم ، وذلك حسـب ما ظهر لي من أقوال أهل العلم من المفسـرين ، والله تعـالى أعلم 0

ج ـ معنى السلف في السنة النبوية الشريفة:

وردت مادة «سـلف» ،في السنة النبوية ، ما يزيد على ثمانين مرة [4]

---

[3] - انظر : المفردات في غريب القرآن : أبي القاسم الحسين بن محمد الـراغب الأصـفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، (بيروت : دار المعرفة) كتاب (السين) مادة (سـلف) ص239 ، و بصائر ذوي التمييز في الكتاب العزيز : محمد بن يعقوب الفيروز آبـادي ، تحقيق محمد علي النجار (القاهـرة : لجنة إحياء التراث الإسلامي 1387هـ) 3/248

[1] - الإمـــام أبو عبد الله ؛ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فـــرح ، الأنصـــاري ، الخـــزرجي الأندلسي القرطبي ، المفسر ، كان من العلماء العارفين ، والعباد الصالحين ، الزاهـدين في الدنيا، له عدد من المؤلفات ، منها : التفسير الجامع لأحكام القرآن الحاكي مذاهب السـلف كلها ، و شرح أسـماء الله الحسـن، تـوفي سـنة 671هـ 0(شـذرات الـذهب لابن العمـاد ، 5/335 ، والتفسير والمفسرون، تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي ،ط1، بيروت : دار القلم 2/500)

[2] - الجـامع لأحكـام القـرآن : محمد أحمد القرطـبي، (لبنـان: بـيروت ، دار إحيـاء الـتراث العربي) 5 / 104

[3] - المرجع السابق 6/ 102 ، وانظر : تفسير البغوي معالم التنزيل : أبو محمد الحسن بن مسعود البغوي ، ط2،(الرياض ، دار طيبة) 7 / 218

[4] - انظر : مشتقات لفظة (السلف) فـي المعجم المفهرس لألفاظ الحـديث النبـوي ، د 0 و نسنك (استنبول : دار الدعوة 1986) 2/505

ويطلق السـلف في السـنة النبوية على عـدة معاني منها :

ما جاء بالحديث الشريف ، قال ﷺ :« إنما بقـاؤكم فيما سـلف قبلكم من الأمم ، كما بين صـلاة العصر إلى غروب الشمس000» [1]

وسلف في هذا الحديث ، تعني : تقدمكم وسبقكم ، من الأمم الأخرى ، من يهود ونصارى [2]0

وقولـه- ﷺ - لأحد الصـحابة- ﷺ - : « أسـلمت على ما سلف من خير» [3] ، أي على ما قدمت من خير0

وقال النــووي[4] : مبينـاَ معـنى السـلف : « السلف : المتقدم»[5] 0

ويرى ابن حجر [6] :أن السلف هم: « الصحابة فمن بعدهم»[7]

وقال ابن الأثير[8] : سلف الإنسان : هو من تقدمه بــالموت من آبائه وذوي قرابته ؛ ولهــذا ســمي الصدر الأول من التابعين بالسلف الصالح[9] 0

وبهذا يكون معنى السلف ، في السنة النبوية المطهرة ، المعنى ذاتـه، الـذي ورد في القـرآن الكـريم ،

---

[1] - صـحيح البخــاري(الجـامع الصـحيح) لأبي عبد الله محمد بن إسـماعيل البخــاري ، ط 1(القاهرة : المطبعة السلفية ، 1400هـ) ، كتـاب مـواقيت الصـلاة ، بـاب من أدرك ركعة من صلاة العصر قبل الغروب ، 1/191 حديث رقم (557)

[2] - انظر: فتح الباري 2/ 46 -47

[3] - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم ،، 1/ 443 ، حديث رقم (1436)

[4] - هو :الإمام الحافظ (محيي الدين أبو زكريا) يحيى بن شرف بن مري النـووي الدمشـقي الشافعي ، ولد 631هـ ، وتوفي677هجرية0 (معجم المؤلفين ، 2/20)

[5] - انظر : صحيح مسلم شرح النووي ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب فضائل فاطمة رضي الله عنها ، ط1، (القاهرة : دار الريان للتراث 1407هـ) المجلد 6 ج16 /6

[6] - هو: الإمام الحافظ علم الأعلام أمـير المؤمـنين في الحـديث شهـاب الـدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسـقلاني ، الشـافعي ، له العديد من المؤلفـات منها : فتح الباري ، والدرر الكامنة في المائة الثامنة ولسان الميزان ، ولد 773 هـ ، وتــوفي 852 هـ 0 (شذرات الذهب ، 7/272، ومعجم المؤلفين ، 13/202)

[7] - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن حجر العسقلاني ، كتاب الجهاد والسير باب الركوب على الدابة الصعبة والفحولة ، ط1 ،(القاهرة : دار إحياء التراث 1407هـ)6/78

[8] - المبــارك بن محمد بن محمد بن عبد الكـــريم بن عبد الواحد الشــيباني ، الشــافعي ، المعروف بابن الأثير الجـزري ، (مجد الـدين ، أبو السـعادات) عـالم ، أديب ، مشـارك في تفسير القرآن ، والنحو واللغة ، ولد سنة 544هـ وتوفي سنة 606 هـ ، (معجم المؤلفين ، 8 / 174)

[9] - انظــر : النهاية في غـريب الحـديث والأثر : أبي السـعادات المبـارك بن محمد الجـزري ابن الأثير ، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي (المكتبة الإسلامية) 2/390 مـادة (سـلف) ، ومجمع الأنـوار في غـرائب التنزيل ولطـائف الأخبـار محمد طـاهر الهنـدي (حيدر آباد مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية 1391هـ) 3/100 ، مادة (سلف)

وهو : السبق والتقدم ، كما أشـار إلى ذلك علمـاء السـنة والحديث 0

د ـ السلف في اصطلاح العلماء :

انقسمت أقوال العلماء في تحديد السلف ، إلى عدة أقــوال:

القول الأول : من يــرى أنهم الصحابة - ‍ - فقط[1]

القــــول الثـــاني : من يــــرى أنهم الصــــحابة - ‍- والتابعون[2]

القـول الثـالث : من يـرى أنهم أهل القـرون الثلاثة الأولى[3]

القول الرابع : من يرى أنهم من كانوا قبل الخمسمائة (4) 0

والسلفية تطلق ويراد بها أحد معنيين[5] :

---

1 - تحرير المقالة من شرح الرسـالة أحمد محمد القلشـاني (مخطـوط بالجامعة الإسـلامية برقم 604 ق36 أ) ، إذ قال : «السلف الصالح وهو الصدر الأول 000 اختارهم الله لصحبة نبيه وانتخبهم لإقامة دينه000»
و انظـــر: المفســرون بين التأويل والإثبـات في آيـات الصـفات ، محمـد عبد الـرحمن المغراوي ط1(الرياض : دار طيبة 1405هـ) 1/17

2 -إلجـام العـوام عن علم الكلام ، تـأليف أبي حامد محمد الغـزالي ، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ط1 (بـيروت : الكتـاب العـربي 1406هـ) ص53 ، قـال :« اعلم أن الحق الصريح 000هو مذهب السلف؛ أعني مذهب الصحابة والتابعين 000»

3 - قواعد المنهج السـلفي ، د : حلمي محمـود ، ط1 (القـاهرة ، دار الأنصـار 1976) ص35 وانظـر: فضل علم السلف على الخلف ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق يحيى مختـار غـزاوي ط1(دار البشائر الإسلامية 1403) ص60 حيث قـال ابن رجب إن السـلف المقتـدى بهم ، الذين يكتب كلامهم :« 000إلى زمن الشافعي [توفي سـنة 204هـ] ، وأحمد [تـوفي سـنة 241هـ000» ونـدوة اتجاهـات الفكر الإسـلامي المعاصر ، د: راجح الكـردي (مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ندوة البحرين 1405هـ) ص227

4- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد : إبراهيم محمد الباجوري ، ط1 (بـيروت : دار الكتب العلمية 1403) ص91 ، إذ قال: الباجوري « السلف هم من كانوا قبل الخمسمائة 000»

5 - منهج الاسـتدلال على مسـائل الاعتقـاد عند أهل السـنة والجماعة تـأليف عثمـان علي الحسن ط4 (الريـاض: مكتبة الرشد 1418)، 1/28 ، وقــواعد المنهج السـلفي تـأليف مصطفى حلمي ط2 (الإسكندرية: 1405) ، ص23

الأول : حقبة تاريخية معينة تختص بأهل القــــرون الثلاثة المتقدمة لحديث: «خـير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم00»[6]

على أن السبق الزمني ليس وحده كافياً في تعيين السـلفي والحكم بأنه سـائر على مـذهب السـلف ، ما لم يكن موافقـاً للكتـاب والسـنة ، قـولاً وفعلاً ، فمن خـالف الكتاب والسنة ، فليس بسلفي ، وإن عاش بين الصحابة والتابعين[2]

الآخر : الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون ، ومن تبعهم بإحسان، من التمسك بالكتاب والسنة ، وتقــديمهما على ما سواهما ، والعمل بهما على مقتضى فهم السـلف 0

فالسلفية بالإطلاق الأول تكون مرحلة تاريخية انتهت بموت رجـالها 0

وبالإطلاق الآخر: تكون منهجاً باقياً إلى يوم القيامة ، يصح الانتســاب إليه مــتى الــتزمت شــروطه وقواعــده لحديث : « لا تـزال طائفة من أمـتي ظـاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يـأتي أمر الله وهم كـذلك » [3] 0

وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية ، إشارات متناثرة في مؤلفاته ، توضح مفهــوم الســلف عنــده ، منها قوله : « 000السلف من المهاجرين والأنصــــار ، ومن بعـدهم من التابعين لهم بإحسان 000» [4]

وقوله : « 000 عامة السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم 000»[5]

---

6 - صــحيح البخــاري كتــاب الشــهادات ، بــاب لا يشــهد على شــهادة جــور إذا أُشــهد ، 2/251 ،حديث رقم 2652

2 - انظر : وسطية أهل السنة بين الفرق ، د: محمد باكريم عبد الله ، (الريــاض : دار الراية للنشر والتوزيع 1415) ، ص99-100

3 - صحيح مسلم (للإمام أبي الحسين مسـلم بن الحجـاج القشـيري ، تحقيق : محمد فـؤاد عبد الباقي ، تركيا: استنبول ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع) ، كتاب الإمــارة ، باب قوله :« لا تزال طائفة من أمـتي ظـاهرين على الحق ، لا يضـرهم من خـالفهم » ، 3/1523حديث رقم 1920

4 - الفتاوى ، 22/ 163

5 - الفتاوى ، 7/ 642

وقوله : « 000 السلف من الصحابة والتـابعين 000»[1]

والمراد بالسلف: الصحابة - ‍ -وتابعوهم وأتباعهم من أئمة الإســـلام العـــدول ، ممن اتفقت الأمة على إمـــامتهم في الـــدين ، وعظم شــأنهم فيه ، وتلقى المسـلمون كلامهم بالرضا والقبـول ، خلفـاً عن سـلف[2] إلى قيام الساعة0

وهذا التعريف هو ما اختاره ؛ لأنه يتحقق به الجمع بين السـلفية الزمنية ، والسـلفية المنهجية ، كما أنه يجمع بين الأقوال المتقدمة للعلماء في تعريفهم للسلف[3] 0

وينبغي الإشـارة إلى أمر مهم ، وهو أنه « ليس معصوماً إلا الرسول -‍- ، أما غيره فإنه معـرض للخطأ ، والســهو ، والزلل ، والهــوى ، والضــعف ، والتقصــير والقصور ؛ فلذلك يجب علـى أهل العلم وطلابه ، بيان زلة العـالم إذا حـدثت ، دون الغض من قـدره ، ولا الحط من شأنه ، بل يجب الاعتذار له ، وغمر زلته في بحر حســناته ومناقبه ، فإنه لم يســلم من الخطأ أحد من العلمـــاء؛ وكثير من مجتهدي السـلف ، وقع من أفـرادهم ما يخـالف السـنة ، ولم يقـدح ذلك في إمـامتهم ، وأهل السـنة إنما يتبعون الـدليل ، ويـدورون معه حيث دار ، ويقتـدون بأئمة الهدى ويجلونهم ويعـذرون المخطئ ولا يتبعونه فيما أخطأ فيه[4]0

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كثير من مجتهدي الســلف والخلــف، قد قــالوا وفعلــوا ما هو بدعة ، ولم يعلمــوا أنه بدعـة، إما لأحـاديث ضـعيفة ظنوها صـحيحة ، وإمـا لآيات فهموا منها ما لم يـرد منها ، وإما لـرأي رأوه ، وفي المسـألة نصـوص لم تبلغهم»[5] ، « فالـذي يتجـرأ - على أحد من علمـاء السـلف - بالتجهيل والتضـليل ، دليل علي نقص عقله، وقله علمه ، وضعف إيمـانه ، إذ لو كـان تقياً ، ذا علم وفضل، لعـرف للعلمـاء فضـلهم ومكـانتهم ،

---

[1] - الفتاوى ، 17 / 215

[2] - انظر : لوامــع الأنوار محمد السفاريني ، ط3 ، (المكتب الإسلامي ، دار الخازن 1411) ، 1/20 ، والعقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية ، (شرح الدرة السنية في عقيدة أهل السنة المرضية) ، أحمد بن حجر آل بو طامي، ط1، (بيروت: 1970) ، 1/11

[3] - بالإضافة إلى من شارك السلف من العلماء في الـرد على الصـوفية ، أمثـال: الزركشي ،وأبو حيان ، والشاطبي 0

[4] - مقـدمات في الأهـواء والافـتراق والبـدع ، د : ناصر عبد الكـريم العقل ، (الريـاض : دار الوطن ، 1417هـ) ، ص 101 ، " بتصرف يسير "

[5] - الفتاوى ، 19/191

وأن ما يكـون من أخطـاء ، يتلاشى ويتصـاغر ، عند عظيم حسناتهم ، وفضائلهم »[1] 0

ثانياً : تعـــــريف القرن

أ ـ تعريف القرن لغة :

قال ابن منظور : « القرن : أهل كل زمـان 000والقـرن من النـاس أهل زمـان واحد ، والقـرن الوقت من الزمان وقيل مطلق الزمان » [2]

وقال الزمخشري : «قرن : هو : قَـرْنه في السن ، وقِرْنه في الحرب ، و القَرْن - بـالفتح - مثلك في السـن ، -وبالكسـر- ـ: مثلك في الشـجاعة ، وهم أقرانه وهو قرينه في العلم والتجـارة وغيرهما 000» [3]

وقال الزبيدي [4]: « القرن زمن معين»[5]

ويظهر مما ســبق أن القـــرن في اللغة يطلق على أهل الزمان الواحد، وكذلك الأقـران المتمـاثلون في أمر من الأمور 0

---

[1] - من فتوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشـيخ مفـتي عـام المملكة العربية السعودية ـ فيمن ذم ابن حجر - رحمه الله - وحط من قـدره 0[مجلة البحـوث الإسـلامية ـ المملكة العربية السعودية ، الرياض : رئاسة إدارة البحـوث العلمية والإفتـاء ـ العـدد التاسع والخمسون ، 1420 -1421هـ ، ص 82]0

[2] - لسان العرب ، 13 / 333-334 ـ مادة (قرن) ـ وانظر: معجم مقاييس اللغة ، 5/76 مادة (قرن)

[3] - أساس البلاغة ـ ص 504 ـ 505

[4] - محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسـيني ، الزبيـدي ، الملقب بمرتضى ـ (أبو الفيض) لغـوي ، نحـوي ـ أصـولي ـ محـدث ، أصـله من واسط في العـراق ، ومولـده في بلجرام في الشمال الغربي من الهند ، ومنشأه في زبيد بـاليمن ، ولـد سـنة 1145 وتـوفي 1205هـ ، (معجم المؤلفين ، 11/ 282)

[5] - تاج العروس محمد الزبيدي ، (بيروت : دار مكتبة الحياة) ـ 9 / 305

ب ـ معنى القرن في القرآن الكريم:

وردت مـادة (قـرن) في القـرآن الكـريم ثلاثـاً وثلاثين مـــرة [1]، منها قوله تعــالى:] كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص [[ص: 3 الآية]0

وقوله تعـالى:] وكم أهلكنا قبلهم من قـرن هم أشد منهم بطشـاً فنقبـوا في البلاد هل من محيص [[ق : 36 الآية] 0

والقـرن في الألفاظ القرآنية [2]: هم القوم المجتمعون في زمن واحد ، وجمعه قرون 0

قال :] ولقد أهلكنـــا القرون من قبلكم لما ظلموا 000[[يونس : 13 الآية]

وقـــال:] ألم يـــروا كم أهلكنـــا من قبلهم من قـــرن 000[[الأنعام: 6 الآية]0

والقرن هم[3]: « القوم المقترنون في زمـن واحد 000 ، والقرن أمة بعد أمة » ، قــال :وقرونـاً 000[بين ذلك كثيراً 000[[الفرقان : 38الآية]0

وقال القرطبي في أحكام القـرآن : « القرن : الأمة من الناس ، والجمع قرون ، فالقرن كل عالم في عصــره 000والقرن مدة من الزمن»[4] 0

ويظهر مما سلف : أن القرن يطلق في القرآن الكــــريم، كما يطلق في اللغة ، على أهل الزمــــان الواحد 0

---

[1] - انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ـ محمد إسماعيل إبراهيم ـ (القـاهرة : دار الفكر العربي) ، ص 423 ـ و المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ ص 698

[2] - المفردات في غريب القرآن ـ ص 40

[3] - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ـ 4 /260

[4]- الجامـــع لأحكــام القرآن للقرطبي ، 6 /360 وانظر تفسير المنـار محمد رشـيد رضا ط 2 ـ (بيروت : دار المعرفة 1393هـ)، 7/206 ـ والمصحف الميسر ـ عبد الجليل عيسى ط5 ـ (القاهرة : دار الفكر 1391) ، ص163

ج ـ معنى القرن في السنة النبوية الشريفة[1]:

ورد القـــرن في الســـنة النبوية في عـــدد من المواضع وبألفاظ متعددة ومن هذه الأحــاديث قوله _ ﷺ _ « خــير أمــتي قــرني ثم الــذين يلــونهم ثم الــذين يلونهم 000» [2]

قال ابن حجر في فتح الباري : إن القرن هم « أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمــور المقصودة ، ويقال إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعـوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل ، ويطلق على القرن مدة من الزمن»[3]

وقال ابن الأثير ، في جامع الأصول : « القرون جمع قـــرن وهو الأمة في عصر من الأعصـــار ، كلما انقضى عصر ، سمي أهله قرناً ، سواء طـال أو قصر » [4]

وقــال أيضــاً ، في النهاية : القــرن « أهل كل زمان ، و هو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان ، مأخوذ من الاقتران»[5]

تحديد القـرن زمنياً :

---

1 - انظــر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، 5/ 370 ـ مادة (قرن)

2 - صحيح البخاري ـ كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومن صحب النبي ﷺ ، أو من رآه من المسلمين ـ فهو من أصحابه ، 3/6 ـ حديث رقم 3650

3 - فتح الباري ـ 7 / 5

4 - جــامع الأصــول في أحــاديث الرســول : المبــارك محمد بن الأثــير ـ تحقيق عبد القــادر الأرنؤوط ، (مكتبة دار البيان ، 1992م) ـ 8 /535،547

5 - النهاية في غريب الحديث ، 5 /51

تعددت أقوال العلماء في تحديد القرن زمنياً ، وتحديد مدته من السنين ، إلى أقوال عدة ؛ أشهرها ما يلي :

قيل : إنه متوسط أقدار أعمار أهل كل زمان ، وقيل : إن القرن ، عشر سنين ، وقيل عشرون ، وقيل ثلاثون ، وخمسون ، وستون ، وسبعون ، وثمانون ، وقيل مائة ، وقيل مائة وعشرون سنة [1] 0 والذي عليه أغلب أهل العلم ، والمشهور ، أن القرن مائة سنة [2] 0

وعلى هذا يكون القرن الثامن الهجري ، مجال البحث في هذه الرسالة ، من سنة سبعمائة وواحد ، للهجرة النبوية الشريفة ، وحتى سنة ثمانمائة هجرية ، فأي عالم من علماء السلف ، يقع تاريخ وفاته بين هذين التاريخين ، وله ردود على الصوفية ، وفق خطة الرسالة ، سوف أورد جهوده وردوده القولية و العملية ، على الصوفية ، من خلال مؤلفاته ، أو المؤلفات الناقلة لها[3] 0

ثالثاً ـ تعريف الصوفية

أ- تعريف الصوفية[4] لغة :

تعددت الآراء والأقوال ، عند الباحثين في الصوفية والتصوف، في أصل المصدر، الذي اشتقت منه هذه الكلمة، فمنهم من ربط هذا المصدر

---

[1] - انظر : تاج العروس ، 9 /305 ، ولسان العرب 13 /333 ، والصحاح 6/2180 وفتح الباري لابن حجر ، 7 /605 ، والنهاية في غريب الحديث ، 4/51 ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : عبد الحق عطية ، ط11، (الدوحة : دار العلوم ، 1403)، 5 / 129

[2] - انظر: تاج العروس ، 9 /305 ، ولسان العرب ، 13 /333 ، وترتيب القاموس المحيط الطاهر أحمد الزاوي ، ط2 ، (عيسى الحلبي) ، 3/606 ، وجامع الأصول ، 8 / 534 ، والمحرر الوجيز، 5/129 ، و الجامع لأحكام القرآن ، 6 /391

[3] - وبهذا يكون ضابط جهود علماء السلف في هذا البحث :

1- أن تكون في القرن الثامن الهجري 0
2- أن تكون في الرد على الصوفية 0
3- أن تكون مثبته في أحد مؤلفاته ، أو أحد المؤلفات الناقلة عنه 0

[4] - هناك بعض التعريفات للتصوف ، لم أذكرها خشية الإطالة ، منها أنه مشتق من : الصفاء ،والصف الأول ، و«سوف» اليونانية ، وصوفة القفا 0 انظر في ذلك : (تحقيق ماللهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مرذولة ، تأليف أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني ، ط3 ، عالم الكتب 1403هـ ، ص27 ، و التصوف منشؤة ومصطلحاته ، تأليف د: أسعد السحمراني ، ط1 لبنان : بيروت دار النفائس ، 1407 هـ ، ص 15 ، و معجم المصطلحات الصوفية ، تأليف أنور أبي خزام فؤاد ، ط1 ، لبنان : مكتبة لبنان 1993 ،ص 110 ، باب الصاد)

بالسلوك ، الذي ينتهجه الصوفية ، ومنهم من ربطه بالمعنى اللغوي ، وللوقوف على هذه الأقوال والآراء ، سأعرض فيما يلي أهم ما ذكر:

أولاً : أنها مشتقة من الصُّفة[1]:

نظراً لما تميز به أهل الصفة ، من زهد وعبادة ؛ فقد حاول بعض الصوفية وغيرهم ، رد أصل تسمية (الصوفية)، إلى (الصفة) بدعوى الشبه بينهما .

فقد قال السهر وردي [2] : « قيل سُموا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله ﷺ»[3] ، وليؤكد الشبه بين الفريقين يقول: «لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم متآلفين متحابين لله وفي الله كأصحاب الصفة » [4] .

وقال الهجويري [5] في أصل هذه التسمية عند

---

1 - الصفة : هي الموضع الذي بني لإيواء ، جماعة من المسلمين ، بالمسجد النبوي الشريف ، الذين هاجروا من مكة المكرمة ، تاركين أموالهم وأهليهم، أو من الفقراء الذين لا يجدون ما يسدون به حاجتهم، وقد عُرف هؤلاء الصحابة المهاجرون بأهل الصفة 0 (انظر الرحيق المختوم صفي الرحمن المباركفوري ، ط1(لبنان: بيروت دار القلم 1406) ص180 والتصوف منشؤه ومصطلحا ته ، ص15

2 - هو: عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه بن سعد الصديقي البكري ضياء الدين أبو النجيب السهروردي من أئمة المتصوفين ولد سنة 490هـ بسهر ورد وسكن بغداد ، وتوفي فيها سنة 563هـ ، (الطبقات الكبرى تأليف أبي المواهب عبد الوهاب المعروف بالشعراني ، دار الفكر للكباعة والنشر والتوزيع ، 1/140 و الأعلام ، 4/49)

3 -عوارف المعارف تأليف عبد القاهر بن عبد الله السهروردي ، ط2، (بيروت : دار الكتاب العربي ، سنة 1403هـ) ، ص61.

4 - المرجع نفسه ، ص61

5 -هو أبو الحسن علي بن عثمان بن علي الجلابي الحسيني الهجويري الغزنوي صوفي حنفي من علماء الصوفية في القرن الخامس الهجري عاصر

ما استعرض بعض الأقوال التي قيلت في ذلك : قالت طائفة :«إنهم سموا كذلك لأنهم يتولون أهل الصفة » [1]

وقد قال آخرون :« إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله » [2]

المناقشة :

يلحظ المتأمل لحال أهل الصفة ،أن هناك تشابهاً في الظاهر ، بين ما كانوا عليه وبين الصوفية ، ولا يستطيع التفريق بينهما إلا من عرف حال هؤلاء وهؤلاء ، ودوافع كل منهما في فعله ، ومع ذلك فإن نسبة (الصوفية) إلى (الصفة) ، ليست قوية عند المناقشة؛ لأن كثيراً من العلماء والباحثين وجماعة من أهل التصوف ، ردوا هذه النسبة ولم يؤيدوها ، لعدم صحتها من حيث الاشتقاق اللغوي 0

قال الهجويري : « ... هذا الاسم ـ أي التصوف ـ على مقتضى اللغة بعيد عن هذه المعاني » [3] التي منها النسبة إلى الصفة ، فهو إذاً لا يرى هذه التسمية صحيحة من حيث اللغة ؛ « لأن اشتقاق هذا الاسم لا يصح على مقتضى اللغة » [4].

وقال السهر وردي [5] ، و القشيري[6] [7] ، بمثل ذلك0

ويرى شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ أن هذه

الدولة الغزنوية ، توفي سنة 465هـ على أرجح الأقوال . (انظر ترجمته في : كشف المحجوب للهجويري دراسة وتعليق الدكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل ، راجع الترجمة الدكتور أمين عبد المجيد بدوي، بيروت :دار النهضة العربية للطباعة والنشر سنة 1980 ص7)

1 -كشف المحجوب ، ص227 .

2 -التعرف لمذهب أهل التصوف ، تأليف أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي، ط1، (لبنان :بيروت دار الكتب العلمية ، 1413هـ) ، ص10

3 -كشف المحجوب ، ص227

4 - المرجع السابق ، ص230

5 - عوارف المعارف ، ص61 .

6 -هو: عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الاستوائي الإمام أبو قاسم القشيري النيسابوري الملقب زين الإسلام ، ولد سنة 376هـ نشأ يتيماً وظهرت عليه النجابة منذ الصغر ، توفي سنة 465هـ ، في نيسابور 0 (انظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ،أو طبقات المناوي الكبرى ، تأليف عبد الرؤوف المناوي ، حققها وقدم لها وعلق حواشيها ، د : عبد الحميد صالح حمدان ، الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث ، 1994م ، 1/ 629 ، والرسالة القشيرية في علم التصوف تأليف عبد الكريم القشيري تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطه جي ، ط2، بيروت :دار الجيل سنة 1410هـ ، ص5) .

7 -الرسالة القشيرية ، ص279 .

النسبة غير صحيحة، وذلك حين قال : «وأما من قـال هم نسبة إلى الصفة فقد كان حقه أن يقال صفّية » [1]

هذا عن القول بنسبتهم إلى الصفة فالواضح أنه لا يســـتقيم من هـــذا الوجه ؛ من حيث اللغة ، فهو إذن مردود.

ثانياً : أنها مشتقة من صوفة :

صوفة: قوم في الجاهلية كانوا يخدمون الكعبة ويجـيزون الحـاج، وحكي أنهم أفنـاء القبائل تجمعـوا مع بعضهم حتى أصبحوا متشابكين كالصوف[2] .

«والصوفة كل من ولي شيئاً من عمل البيت ـ الحرام ـ وهم الصوفانة» [3] 0

يقول ابن الجوزي[4] في هذه النسبة : « كانت النسبة في زمن رسول الله -صـلى الله عليه وسـلم- إلى الإيمان والإسلام ، فيقال مسـلم ومـؤمن ، ثم حـدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد ، فتخلـوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طـــريقة تفردوا بها ، وأخلاقـاً تخلقـوا بها ، ورأوا أن أول من انفـرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقــال له صوفه ... فانتسبوا إليـه لمشابهتهم إيـاه في الانقطــاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية»[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عندما تكلم عن نسبة التصـوف : « وقيل نسـبة إلى صـوفه بن بشر بن أد بن طابخة

---

1 - الفتاوى ، 10/368

2 - انظر : معجم المقاييس في اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس ، حققه شهاب الدين أبو عمرو ، ط2 ، (بيروت : دار الفكر 1418 هـ) ، ص 581 ، باب (الصاد)

3 - لسان العرب ، 9/199 ، مادة (صوف).

4 - جمال الدين أبو الفـرج عبد الـرحمن بن علي بن محمد القرشي التميمي البكري البغدادي يرجع نسبه لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عـرف بـابن الجـــوزي حافظ مفسر فقيه وأديب ولد ســـنة 508أو 510هــــ على أرجح الأقـوال كـانت ولادته ببغـداد وتـوفي فيها سـنة 597هـــ له عـدد كبـير من المؤلفـات . (المقصد الأرشد في ذكر أصـحاب الإمـام أحمد تـأليف : الإمـام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح تحقيق د : عبد الرحمن بن سـليمان العثيمين ط1(الرياض : مكتبة الرشد 1410هـ) 2/93)

5 - تلبيس إبليس لابن الجوزي ،(طبعة دار الجيل)ص223

من العرب كانوا يجـاورون بمكة من الـزمن القـديم ، ينسب إليهم النساك ...» [1].

المناقشـة :

القول إن التصوف ، مشتق من صوفه ، لا يعـدو أن يكـون كسـابقه ، من حيث ضـعفه ، وعـدم كفاية الأدلة على الأخذ بـــه، بل إن الأدلة تشـــير إلى رده ، وعدم صحته ؛لأن « ... هؤلاء غير مشهورين ولا معـروفين ، عند أكثر النساك ؛ ولأنه لو نسب النساك إلى هـؤلاء، لكــان هــذا النسب في زمن الصــحابة ، والتابعين وتابعيهم أولى »[2] 0

ولهذا فإن « احتمال أخذ التسمية ، من هـذا القبيل ضــعيف ومــردود ، فصــوفه خــدم الكعبة في الجاهلية ، لم يكونوا مشهورين ومعروفين » [3] .

ثالثاً أنها مشتقة من الصوف :

« الصـوف للغنم كالشعر للمعز، والوبر للإبـل والجمع أصواف » [4] « ويقـال كبش أصـوف وصـوف وصائف وصاف ، كل هذا أن يكـون كثـير الصـوف»[5] ولإثبـــات هـــذه النســـبة للصـــوفية وضع الســـراج الطوسي[6] فصـــلاً في كتابه اللمع بعنـــوان : بـــاب الكشف عن اسم الصوفية ، ولِمَ ســموا بهــذا الاسم ، ولِمَ نسـبوا إلى هـذه اللبــسة 000ويجيب عن هـذا قائلاً : «لأن الصوفية لم ينفردوا بنـوع من العلم دون نـوع ، ولم يترسـموا برسم من الأحـوال والمقامـات دون رسم ، 000فلأجل ذلك ما أضــفت إليهم حــالاً دون حـــــال ولا أضفتهـم إلى علم دون علم».وينتهي

---

[1]- الفتاوى ، 11 /6

[2] - الفتاوى ، 11 /16

[3] - التصوف منشؤه ومصطلحاته ، ص17

[4] - لسان العرب ، 9/199 ، باب (الفـاء) ، وانظر : القاموس المحيط ، ص 1072 باب (الفاء)

[5] - معجم المقاييس في اللغة ، ص 581 ، باب (الصاد)

[6] - أبو نصر السراج عبد الله بن علي الطوسي ، الزاهد شيخ الصوفية ، وصاحب كتاب اللمع في التصوف ، كان علة طريقة أهل السنة ، توفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة هجرية ، (شذرات الذهب ، 3/91) 0

إلى تسميتهم بهذا الاسم نسبة إلى «ظاهر اللبسة لأن لبسه الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء » [1] 0 حتى قال : « فكذلك الصوفية عندي والله أعلم نسبوا إلى ظاهر اللباس » [2].

و يذكر الكلاباذي[3] قول من قال :« إنما سموا صوفية للبسهم الصوف » [4] ثم يعقب بقوله :« ومن لبسهم وزيهم سموا صوفية»[5]

وقال :الهجويري إن جماعة قالت :« إن الصوفي يسمى بالصوفي؛ لأنه يلبس ثياب الصوف » [6]

وأما السهر وردي فيؤيد هذه النسبة بقوله : « كان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وراحتها ، لشدة شغلهم بخدمة مولاهم ، وانصراف همهم إلى أمر الآخرة » ثم يؤكد أن هذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق ؛لأنه يقال: «تصوف إذا لبس الصوف ، كما يقال تقمص إذا لبس القميص»[7]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :« والنسبة في الصوفية إلى الصوف لأنه غالب لباس الزهاد » [8]
والصوفي :« من يتبع طريقة التصوف والعارف بالتصوف ، وأشهر الآراء أنه سمي بذلك ؛لأنه يفضل لبس الصوف تقشفاً»[9]

---

1 -اللمع في التصوف تأليف أبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، (مصر :دار الكتب الحديثة ، طبعة 1380هـ)ص40- 41

2 - المرجع السابق ص 41

3 - أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي ، المتوفى سنة 380هـ (التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص 3)

4 -التعرف لمذهب أهل التصوف، ص9

5 -التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص12

6 - كشف المحجوب ، ص227

7 - عوارف المعارف ، ص60

8 - الفتاوى ، 10 /368 وانظر مقدمة ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن بن خلدون (بيروت دار الكتب العلمية ، 1413) ص381

9 - المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفي وآخرون ، ط2(تركيا : استنبول ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، 1392 هـ) ، ص529، مادة (صاف)

المناقشــة :

« الدلائل تشير إلى أن أقرب الفروض إلى الصحة هو فرض نسبة التصوف إلى الصوف باعتبـاره شـارة دالة في وقت معين على منهج خاص»[1] 0

وهـذا ما أراه واختـاره ، من تعريفـات الصـوفية والتصـوف ؛ لأنه يوافق المعـنى اللغـوي وكـذلك يعـبر عن ظاهر الصوفية للبسهم الصوف ، والله تعالى أعلم 0

ب - التصــوف في القــرآن الكــريم ، والســنة النبوية :

لم ترد كلمة (التصوف) في القرآن الكريم ، ولا في السـنة النبوية ؛ بل الـوارد فيهما كلمة الصـوف ، كما قال 000[:ومن أصــــوافها و أوبارها وأشعــــــــــارها أثاثاً ومتاعــــــــاً إلى حين [[النحل : 80 الآية]

وكذلك في السنة ، لم ترد الكلمة - فيما وقفت عليه - إلا بمعنى الصوف المعـــروف[2] 0

---

[1] -التصوف طريقـاً وتجربة ومـذهباً د / محمد كمـال جعفر (الإسـكندرية دار المعرفة الجامعية طبعة 1980م) ،ص4

[2] - انظـــر مثلاً: صحيح البخاري كتاب اللباس 4/56 حديث رقم 5799

ج ـ تعريف التصوف اصطلاحاً:

مع كثرة أقوال الباحثين في التصوف ، فإنك لا تصل إلى تعريف جامع مانع للتصوف ، ولم ينته الرأي فيه إلى نتيجة ، بالرغم من وجود أكثر من ألف تعريف للتصوف[1] ، وممن عرفه من الصوفية :

معروف الكرخي[2] : (ت200هـ)، إذ قال : « التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق »[3]

وقال بشربن الحارث[4] (ت227هـ):«الصوفي من صفا قلبه لله »[5]

وقال الجنيد[6] (ت298هـ)عندما سئل عن التصوف قال : « إن تكون مع الله بلا علاقة »[7]

وقال الحصري [8](ت371هـ) : « الصوفي هو الذي لا تقله أرض ولا تظله سماء » [9]

وقد عرف ابن الجوزي التصوف بأنه:« طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص ، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام ، لما يظهرونه من التزهد ، ومال إليهم طلاب الدنيا لما

---

[1] - عوارف المعارف ، ص54

[2] - أبو محفوظ : معروف بن فيروز الكرخي توفي ببغداد سنة 200هـ (طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ، تحقيق نور الدين شريبة ، ط2 ، سوريا : حلب دار الكتاب النفيس 1406هـ ، ص 83 ، وحلية الأولياء 8/360 ، وطبقات الشعراني ، 1/72)

[3] - عوارف المعارف ، (مكتبة القاهرة 1393) ص54 ، والرسالة القشيرية ، ص 280

[4] - هو بشر بن الحارث الحافي يكني أبا نصر ولد في بغداد سنة 150هـ وتوفي سنة 227هـ ، (انظر : صفوة الصفوة لأبي الفرج ابن الجوزي ، ضبطها وكتب هوامشها : إبراهيم رمضان و سعيد اللحام ،(بيروت : دار الكتب العلمية 1989 م) ، 2/214 والطبقات الكبرى لابن سعد، دار الكتب العلمية بيروت 1990 م ، 7/246)0

[5] - التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص9 وانظر التعريفات للجرجاني (بيروت : مكتبة لبنان1990) ، ص61.

[6] - أبو القاسم الجنيد بن محمد الخرّاز ، أصله من نهاوند ، ومولده ومنشؤه بالعراق ، كان فقيهاً ، من أئمة القوم وساداتهم ، أسند الحديث ، توفي سنة سبع وتسعين ومائتين هجرية 0(طبقات الصوفية ، ص 155-156)

[7] - الرسالة القشيرية ، ص 280

[8] - أبو الحسن علي بن إبراهيم ، بصري الأصل سكن بغداد مات ببغداد سنة 371هـ0 (طبقات الصوفية ، ص489)

[9] - اللمع ، ص 48 ، والمقصود بقوله : إن الله هو الذي يقله بالأرض ويظله بالسماء لا السماء ولا الأرض ، وإن كان فوق الأرض وتحت السماء 0

يرون عندهم من الراحة واللعب »[1]

وعرفه ابن خلدون[2] فقال:هو « العكوف على العبــادة ، والانقطـــاع إلى الله تعــالى ، والإعــراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد للخلوة في العبادة » [3] 0

وعُرف التصوف اصطلاحاً أنه :« طريقة سلوكية ، قوامها التقشف ، والتحلي بالفضـــائل ، لـــتزكو النفس ، وتسموا الروح »[4]0

وكما عُرف بأنه : « حركة بدأت زهداً وورعـاً، ثم تطورت فأصبحت نظاماً شديداً في العبادة ، ثم استقرت اتجاهــاً نفســياً وعقليــاً، بعيــداً عن مجراها الأول ، وعن الإسلام في كثير من أوجهها المتطرفة »[5]

ولا يمكن تــرجيح أي من التعــاريف الاصــطلاحية للتصــوف عند الصــوفية ؛لأنها تعــاريف يكتنفها الغمــوض وتطغى عليها الإشارات والعبارات العامة ، غـير الدقيقة ؛ ولأن « هـــذه التعريفـــات لم يقصد الصـــوفية بها تعريف التصوف تعريفاً علمياً شـاملاً ،يسـتوعب كل صـوره ؛ بل قصدوا بها التعبير عن أحـوالهم الخاصة ، في لحظة معينة محدودة ، فهي تعبر عن مواجدهم وأحـوالهم ومقامـاتهم التي يتـدرجون فيهـا»[6]، «فكل واحد منهم عـبر عما وجد ونطق بحسب مقامه »[7]

أما تعاريف التصوف عند غير الصوفية ؛ فهي تعاريف متقاربة في المضمون ، إلا أن تعاريف المتــأخرين ، يظهر فيها بيان لانحرافات الصـوفية، بخلاف التعـاريف المتقدمة في الزمن ، والتي تبين التصوف في بداياته الأولى ، قبل

---

[1] - تلبيس إبليس ، ص 223 ، وانظر: الموسـوعة العربية العالمية الناشر مؤسسة أعمـال الموسوعة للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط1(الرياض) 15/201 ، وانظر: دائرة المعـارف تـأليف : بطـرس البسـتاني ، (لبنـان : بـيروت ، دار المعرفة) 1 /66 ، و التصوف بين الحق والخلق للشيخ محمد فهر شقفة ، ط3، (الـدار السـلفية للنشر والتوزيع)، ص7

[2] - عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشــبيلي ، من ولد وائل بن حجر ، الفيلســوف المــؤرخ العــالم الاجتمــاعي البحاثة ، أصــله من إشــبيلية ، ومولده ومنشأه بتونس ، ولد سنة 732 ، وتوفي سنة 808هـ 0 (الأعلام ، 3/ 330)

[3] - المقدمة ، ص381، قلت : ويتبين من تعريف ابن خلدون ، أنه ينطبق على التصوف في مراحله الأولى ، التي لم تصل فيها الانحرافات ، إلى ما وصلت إليه في العصور المتأخرة0

[4] - المعجم الوسيط ، 1 /529

[5] - تاريخ الفكر العربي ، د:عمر فروخ ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، 1392هـ) ص470

[6] - نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، د: عرفان عبد الحميد فتاح ط1(بيروت دار الجيل، 1413هـ) ص134

[7] - شــفاء الســائل لتهــذيب المســائل ، ابن خلـــــدون ، تحقيق ودراسة محمد بن تــاويت الطنجي ، (اسطنبول ، 1957) ، ص88

أن ينحرف في مسائل الاعتقاد 0

ومع ذلك يمكن التفريق بين الصوفية ، المنحرفين في مسائل الاعتقـاد ، والـذين لم ينحرفـوا ، وحـتى يتـبين من هم ، المقصودون بالرد والمناقشة ؛ لأن من الصـوفية ، من هو محسن ، ومن هو مســيء ، كما بيّن ذلك شــيخ الإسلام بقوله :

«والصواب إنهم مجتهدون -أي الصوفية - في طاعة الله ، كما اجتهد غـــيرهم من أهل طاعة الله ، ففيهم الســـابق المقــرب بحسب اجتهــاده ، وفيهم المقتصد الــذي هو من أهل اليمين ، وفي كل الصــــنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب 0

ومن المنتسبين إليهم من هو ظـالم لنفسه ، عـاص لربه ، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البـــدع والزندقة [1]00 0» [2]

ولهذا فإن المقصودين بالرد والمناقشة هم : الصوفية ؛ أهل الأهـواء[3] ، والبـدع والزندقة ؛ المخـالفون لمنهج السلف ، وهم الذين عناهم شيخ الإسلام 0

أولاً ـ حالة الأمة في القرن الثامن الهجـري من الناحية السياسية :

[1] - الزنديق : هو المنافق الـذي يظهر الإيمـان ويبطن الكفر ، سـواء كـان ما يبطنه دينـاً آخر غير الإسلام ، أو جحوداً للصانع تعالى ، أو المعاد أو الأعمـال الصـالحة 0(الفتـاوى 7/471و 28/555 ، وموسوعة فقه ابن تيمية تأليف د: محمد رواس قلعه جي ، ط1 ، لبنان : بيروت دار النفائس ، 1419 هـ ، 2/ 768)

[2] - الفتاوى ، 11/18

[3] - الأهـــواء : جمع هـــوى وهو الســـقوط ، والميل عن الحق ، والميل إلى رغبة النفس وشـهواتها ، واسـتحواذ الشـياطين ، والحـيرة ، والضـلال والفجـور والظلم ، والهـوى يعمي العين عن النظر ويصم الأذن عن استماع العدل 0 وفي الشرع : ميل النفس إلى ما ترغبه ، وميل القلب إلى ما يحبه ، إذا خـــرج ذلك عن حد الشـــرع والاعتـــدال ، ويكـــون ذلك في الشهوات والعقائد والآراء والمذاهب ، فما خـرج عن الكتـاب والسـنة ، فهو هـوى ، ويسـمى صاحبه : صاحب هوى قال تعالى] 000وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم 000 [[الأنعام : 119] وقال تعـالى] 000ومن أضل ممن اتبع هـواه بغـير هـدى من الله000 [[القصـص: 50] ، انظر: (كتاب حسن السلوك الحافظ دولة الملـوك تـأليف الشـيخ الإمـام محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصـلي ، دراسة وتحقيق وتعليق : المستشـار الـدكتور : فـؤاد عبد المنعم أحمد ، ط1، الريـاض : دار الـوطن ، 1416هــ ، ص 133، مقـــدمات في الأهـواء والافتراق والبدع ، ص 22)

الأمة الإســـلامية ،كغيرها من الأمم ، يحفل تاريخها بأحداث جسام وتطـورات عظيمة ، وغالباً ما تكـون هـذه الأحداث والتطورات ، هي التي تبين حال الأمة من ضعف وقوة ؛ لأن هذه الأحـداث مرتبطة بالحالة السياسـية الـتي تعيشـــها الأمة في أية فـــترة ، ولهـــذا قد تحـــدث بعض الأحداث الكبيرة و المؤثرة ، في فترة من الفترات ، يمتد أثرها إلى أجيـــال عديـــدة ، وحقب مديـــدة ، ولا تكتمل الصورة بأبعادها المختلفة إلا بالإشارة لها ، وهذا ما ينطبق علـى حال الأمة الإسلامية في القرن الثامن الهجــري ، إذ حدثت لها وقـائع جسـيمة ، في النصف الأخـير من القـرن السـابع، اسـتمرت أثارها بـارزة على كيـان الأمة ، حـتى القرن الثامن الهجري ، وقبل بيـان تلك الأحـداث الأليمة ، سأذكر الخلفاء والحكـام في البلاد الإسـلامية ، وأوضـاعها الداخلية ، خلال هذه الحقبة من الزمن :

1-الخلفـــاء والســـلاطين والحكـــام في العـــالم الإسلامي خلال هذا القرن:

تولى الخلافة خلال هذا القرن خمسة خلفاء من بـــني العبـــاس هم : المســـتكفي بالله أبو الربيع ســـليمان انتهى حكمه في ســـنة 740هــــ ، والواثق بـــأمر الله ، وانتهى حكمة في العـــام نفســـه، والحـــاكم بـــأمر الله أبو العبـــاس أحمد بن المســـتكفي من 740 إلى 753هــــ ، والمعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر المستكفي من 753 إلى 763هـ ، وأخيراً المتوكل على

الله أبو عبد الله محمد من 763إلى 784هـ [1]

وأما بـاقي البلاد الإسـلامية ، فكـان ولاتها على النحو التالي:

أ- الديار المصرية والبلاد الشامية :

كانت بيد الملك المظفر ركن الدين بيبرس ، حتى خلع سنة 709هـ ، ثم عـاد إلى السـلطة ؛ السـلطان الملك الناصر محمد قلاوون ، واسـتمر فيها ، حـتى تـوفي 742هــ ، ثم تولاها المظفر أمـير حـاجي بن الناصر محمد قلاوون إلى سنة 748هـ ، ثم بويع أخوه السـلطان الناصر حسن في العام نفسه ، وأما الظـاهر برقـوق فقد حكمها

[1] - تاريخ المماليك البحرية ، تأليف د: علي إبراهيم حسن ، ط3 ـ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية 1967م) ـ ص 246- 247

حتى خلع سنة 791هـ ، وتولى بعده الملك منصور حـاجي بن الأشرف [1]0

ب- مكــة المكرمة :

كانت مكة المكرمة ، خلال القرن الثامن ، بيد الشريف أبي نميّ وقد اضـطربت الأوضـاع بها ، بعد وفـاة الشريف أبي نمي ، ولم ينحصر الـنزاع حــول إمـارة مكة على أبناء الشريف أبي نمي ، بل تعـداهم إلى أولاد عمهم ، وقد أتاح هـذا الصـراع بين أشـراف مكة ،الفرصة لدولة المماليك أن تتدخل في شؤون مكة لأول مـرة ، فصـارت دولة المماليك تتـدخل في توليه إمــارة مكة لمن تـــريد ، من أولاد الشــــريف أبي نمي[2] ، واســـتمر الصـــراع بين الأشراف ، على إمارة مكة المكرمـة، حـتى آلت سـلطتها إلى أبنـاء عجلان ، وذلك قبيل نهاية القـرن الثـامن وبداية القرن التاسع الهجري[3]0

ج - المدينــة المنورة :

كانت بيد جماز بن شيحة ، حتى عمي ومات سنة 705هـ، ثم تولاها من بعـده ابنه منصـور بن جمــاز ، ثم وفد أخـــــوه مقبل بن جمـــــاز على الناصر محمد بن قلاوون بالــديار المصــرية ، فأشــرك بينهما في الإمـــرة والإقطـــاع ، ثم نشب بينهما صـــراع طويل ، فكل منهما يريد الاسـتئثار بالسـلطة ، ونتيجة لـذلك الصـراع ، قــام كبيشة بن منصور، بقتل عمه مقبل ، واستمر الصراع إلى أن أوشك القــرن الثــامن على الانتهــاء ، فكـانت إمــارة المدينة المنـورة بيد نعـير بن منصـور بن جمـاز ثم قُتل ، فوثب جمـاز بن هبة على إمـارة المدينة واسـتولى عليها ، فعزله السلطان وولى مكانه ثابت بن نعـير فبقي إلى آخر سنة أربع وثمان مائة[4] 0

---

[1] - انظر البداية والنهاية ، للإمـام ابن كثـير ، اعتـنى بها عبد الـرحمن اللادقي ومحمد غـازي بيضون ، ط3 ، (لبنان : بيروت دار المعرفة ، 1418هـ) ، 14/ 613،649 ، ومآثر الأنافة في معالم الخلافة ، للقلقشندي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط1 ، (بيروت : دار عالم الكتب ، 1964 م) ، 2/ 135 و194

[2] - انظر : الأحوال السياسية والاقتصـادية بمكة في العصر المملـوكي ، د: ريتشـارد موتيل ، (الرياض : الناشر عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، 1405هـ) ، ص 65 ، 67

[3] -انظر : البداية والنهاية ، 14/ 429 ، ومآثر الأنافة 2/ 136 ، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تقي الــــدين محمد بن أحمد الفاسي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط2 ، (بيروت : مؤسسة الرسالة 1406هـ) ، 1/179-180

[4] - انظر : مآثر الأنافة ، 2/137و147و185

د- اليمــن [5]:

كانت تحت حكم بني رسول ، وينتهي نسب آل رسول إلى محمد بن هـارون ، أحد وزراء الأيوبـيين بمصر ، وأول سلطان للرسوليين باليمن هو: المنصور نـور الـدين عمر بن علي بن رسول ، مؤسس الدولة الرسولية بتعز ، وقد كان حكام دولة بني رسول ، خلال القرن الثـامن الهجـري :

1- المؤيد داؤود بن يوسف 696-721هـ
2- المجاهد علي بن المؤيد 721 - 764هـ
3- الأفضل العباس بن مجاهد 764- 778هـ
4- الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس 778- 803هـ

واستمرت دولة بني رسول في حكم اليمن ، إلى أن استولى عليها بنو طاهر [2] 0

هـ - تونـس [3] وأفريقية [4]:

كانت تونس وأفريقية ، بيد أبي عصيدة محمد، وبجـاية[5] من الغـرب الأوسط بيد أبي البقـاء خالد بن أبي زكريا ، فمات أبو عصيدة في ربيع الآخر سنة تسع وسبع مائة ، ولم يخلّف أبناء ، فبايع أهل تونس من بعـده أبا بكر بن عبد الـــرحمن بن أبي بكر بن يحـــيى بن عبد الواحد بن الشـــيخ أبي حفص ، فزحف أبو البقـــاء خالد ، صـــاحب بجاية ، على أبي بكر بن عبد الـــرحمن صـــاحب تـونس فقبض عليه واعتقلـه، ثم قتله بعد ذلك ، فعـرف بأبي بكر الشهيد ، واستقل السلطان أبو البقاء خالد بملك تونس وبجاية وما معهما ، وتلقب الناصر لدين الله[6]

---

5 - تقع في جنوب غرب جزيرة العرب ، في القارة الآسيوية ، وتتحكم في المداخل الشرقية لمضيق باب المندب ، من ناحية البحر الأحمر 0 (المعجم الجغرافي لدول العالم ، هزاع عيد الشمري ، ط3 ، الرياض : دار أمية للنشر والتوزيع ، 1410هـ ، ص 489)

2- انظر : مآثر الأنافة ، 2/ 141-142 ، والبرق اليماني في الفتح العثماني ، تأليف قطب الدين محمد بن أحمد المكي ، أشرف على طبعة حمـد الجاسر ، (الرياض: منشـورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر 1378هــ) ، ص 16 ، واليمن عـبر التـاريخ ، بقلم أحمد حسن شرف الدين ، ط3 (القاهرة ، 1400هـ)، ص 225، 230

3- تونس : تقع في شـمال أفريقيا ، وتحد بـالبحر الأبيض المتوسط من الشـمال والشـرق ، والجزائر غرباً ، وليبيا جنوباً ، وهي أصغر بلـدان العـالم العـربي في الشـمال الأفـريقي ، إذ تبلغ مسـاحتها 63402أميـال مربعة ، ويتبعها عـدد من الجـزر أهمها : جربة ، عُمـرت من أنقاض مدينة كبيرة ، قديمة بالقرب منها ، يقـال لها قرطاجنه 0(المعجم الجغـرافي لـدول العالم ، ص 200، وانظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، تحقيق فريد الجندي ، (لبنان : بيروت دار الكتب العلمية ، 2/70) 0

4 - انظر : معجم البلدان 1/270

5 - مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب ، كان أول من اختطها الناصر بن علناس ، كانت قديماً ميناء فقط ثم بـنيت المدينة ، وهي في لحف جبل شـاهق ، وتسـمى الناصـرة أيضاً باسم بانيها (انظر : معجم البلدان 1/ 403)

6 - انظر: مآثر الأنافة 2/ 141-142

و ـ غــرناطة[1]:

كانت في القرن الثامن الهجري تحت حكم بني الأحمــــــر،وقد أسس هــــذه المملكة ، محمد بن يوسف النصــري المعــروف بــابن الأحمر ، وقد أنشأ الســلطان محمد بن يوسف مملكته ، بعد انهيار سـلطان الموحـدين، فقد كـافح ، كفاحـاً بالغـاً ، في سـبيل تأسـيس مملكته ، واســــتتباب الأمن في ربوعها [2] ، وكغيرها من الممالك الإســلامية ، لم تخل هــذه المملكة من الصـــراع على السـلطة ، ففي سـنة ثلاث وعشـرين وسـبع مائة ، تقاتل بنوا الأحمر على السلطة ، فقُتل بعضهم ، وأسـاء بعضـهم السيرة في الرعية والجند[3] 0

وقد تولى حكم هـذه المملكة في القـرن الثـامن الهجـري[4]:

1- السلطان أبو عبد الله محمد 701- 708هـ
2- نصر أبو الجيوش بن محمد بن يوسف 708- 713هـ
3- إســماعيل بن فــرج بن إســماعيل 713- 722هـ
4- الســلطان إســماعيل بن فــرج بن إســماعيل 722- 725هـ
5- محمد بن إســماعيل بن فــرج بن إســماعيل 725- 733هـ
6- يوسف بن إســماعيل بن فــرج بن إســماعيل 734- 755هـ
7- محمد بن يوسف بن إسـماعيل بن فـرج بن إسـماعيل 755- 793هـ 0

2ـ دولـــة المماليك [5]:

---

1 - غرناطة : الصحيح ، أغرناطة ، ومعناها : رمانه بلسان عجم الأندلس ، سمي البلد لحسنه ، وهي من أعمال الأندلس ، وأعظم مدنها ، وأحسـنها وأحصـنها - وتتبع الآن مملكة أسـبانيا- (انظر : معجم البلدان 4/221)

2 - انظر : اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، لسـان الـدين الخطيب ، تحقيق محب الـدين الخطيب ، (القـــاهرة : المطبعة الســلفية ، ومكتبتها ، 1347 هــــ) ص 20 والإحاطة في أخبارغرناطة ، لسـان الـدين ابن الخطيب ،تحقيق محمد عبد الله عنـان ، ط2 (القـاهرة : الشركة المصرية للطباعة والنشر ، 1393هـ) 1/ 140

3 - انظر : مآثر الأنافة 2/ 138- 147، 185

4 - انظر : اللمحة البدرية ص221-23 والإحاطة في أخبار غرناطة 1/119

5 - هم : مماليك أتراك ، لبني أيوب ، سـكنوا في قلعة الروضة ، وسـموا المماليك البحرية ، وكانوا دون الألف مملوك ، (انظر : كتاب المواعظ واعتبار بذكر الخطط و الآثار ؛ المعروف بالخطط المقريزية ، تأليف تقي الدين أبي العبـاس أحمد المقريـزي ، بـيروت : دار صـادر ، 2/232، 236)

بعد اجتياح المغول لبغداد ، وسقوط الخلافة الإسـلامية سـنة 656هــ ، انتقل الثقل السياسي للدولة الإسـلامية ، إلى مصر وعنـدما حل مطلع القـرن الثـامن الهجـري ، كـان حكم مصر لا يـزال بيد دولة المماليك [1]، وكان سـلطان المماليك ، السـلطان الناصر محمد قلاوون في ولايته الثانية ، الـتي امتـدت من سـنة 698-708هــ ، ونتيجة لتشـــديد الخنـــاق عليه من قبل بعض الأمـــراء ، أصـحاب النفـوذ في الدولة [2] ، انتهى الأمر بعزله وزوال سـلطنته الثانيـة ، إلا أنه عــاد في ســنة 709هـ، وتــولى السلطة حتى عام 741 هـ[3] ، وكـــان أول ما فعله عقب تسـلمه زمـام الملك ، التخلص من المتـآمرين عليه من الأمـراء [4] ، وتعتـبر سـلطنة الناصر الثالثة ،الفـترة الـتي حـــــــكم فيها بنفسه ، وتخلص من أعدائه ، وازداد تعلق الشعب به ، وتعد هـذه الفـترة ، من أزهى عصـور مصر ، فقد كانت القـاهرة حاضـرة لدولة شاسـعة متحـدة ، امتد سـلطانها من بلاد برقة [5]غربـاً إلى سـاحل البحر الأحمر شـرقاً ، ومن أسـيا الصـغرى[6] شـمالاً ، إلى بلاد النوبة[7] جنوباً ، وبسطت نفوذها على بلاد اليمن والحجاز[8] ، وفي عهـده تم القضـاء على المغـول في معركة مـرج الصـفر القريبة من دمشق سنة 702هـ [9]0

وبعد وفـاة الناصر سـنة 741هــ ، دخلت دولـة المماليك البحرية في طور جـــديد من نظم الحكم ، وذلك بسبب كثـرة عدد السلاطين ، الذين اعتلوا العرش وصـغر سنهم [10]، وبسبب ظهـور نفـوذ الأتابكة[11] بشـكل جلي ، واشتداد التنافس بين الأمراء على النفوذ ، وجعلهم ألعوبة

[1] -انظر : أخبـار الـدول وآثـار الأول ، تـأليف العـالم أبي العبـاس أحمد بن يوسف الشـهير بالقرافي ، (بيروت : عالم الكتب ، بدون تاريخ طبع) ، ص202

[2] - هما: الأمير سيف الدين سلار ، وبيبرس الجاشنكيري ، (انظر البداية والنهاية 14/ 466 ، وتاريخ الممالك البحرية، ص104

[3] - انظر : تاريخ الممالك البحرية ، ص88

[4] - انظر: البداية والنهاية 14/466 ، وتاريخ الممالك البحرية ص104

[5] - اسم صقع كبير؛ يشتمل على مـدن وقـرى ، بين الإسـكندرية ، و إفريقية (انظـر: معجم البلدان 1/ 462) 0

[6] - آسيا الصغرى : شبه جزيرة جبلية ، في غربي آسـيا على البحر المتوسط ، يحيط بها بحر إيجة ، والدردنيل ، وبحر مرمـرة ، والبوسـفور ، وتشـمل معظم الأراضي التركية الآسـيوية ، وتعرف بالأناضول 0(المعجم الجغرافي لدول العالم ، ص 174، والمنجد في اللغة والأعلام ، ط33 ، بيروت : دار الشروق ، 1992 م ، ص 50)

[7] - النوبة : منطقة صحراوية تمتد شمالي السودان في حوض النيل بين الخرطوم وأسوان0 (المنجد في الأعلام ، ص578)

[8] - انظر : الأحـــوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص 67

[9] - انظر : تاريخ المماليك البحرية ، ص103-105

[10] - انظر : المماليك ، تأليف د: السيد الباز العريني (بـيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1979) ص267

في أيـــــديهم ، يعزلونه أو يبقونه على العــــرش حسب مشيئتهم ، وكـان مصـير أولئك السـلاطين الخلع ثم النفي أو القتل ، وبـــذلك ضـــعفت دولة المماليك ، واضــطربت أحوالها ، وكــثرت الفتن والقلاقل في جميع أرجائهــا، وقد بلغ عدد أولئك السـلاطين الـذين تولـوا العـرش بعد وفـاة الناصر محمد ، إلى نهاية دولة المماليك البحرية ، اثـــني عشر سلطاناً ، ثمانية من أولاد الناصر وأربعة من أحفـاده [1] ، وقد تـــدهورت الســلطنة المملوكية ، في عصـــرهم تـدهوراً كبـيراً ، وازداد انحلال السـلطة المملوكية ، نتيجة تـولي سـلاطين ، صـغار السن لم يتجـاوز بعضـهم الحادية عشر من العمر ، وبـــذلك انتهت دولة المماليك البحرية ، وجــاءت مكانها دولة المماليك البرجية [2]، وأبـرز مظـاهر هذه الدولة ، الاضطراب الداخلي الذي ساء في عصـرها ، لأن سـلاطين هـذه الدولة وصـلوا إلى السـلطة بعد فتنة وانقلاب سياسي ، فطبع عصرهم ، بطابع الفتن والثورات التي كانت تقـوم بين الحين والآخر ، إلى أن تم سـقوطها على يد الدولة العثمانية في سنة 923هـ [3]

3ـ الصراع الداخــلي :

تميز القرن السابع والثـامن الهجريـان ، بصراعات داخلية بين المسلمين ، كان لها أثار سـيئة على الاستقرار السياسي للدولة الإسلامية ، فخلال الفــترة من عــام 648 إلى عــام 792 للهجــرة الــتي هي عمر دولة المماليك البحرية تـولى السـلطة فيها ما يقــارب الثلاثين من الحكام ، ثلثهم قتلـوا ، وثلثهم خلعـوا ، والثلث البـاقي عزلوا ، أو بقوا على سلطتهم حـتى مـاتوا [4] ، ولم يقتصر الصـراع على السلــطة ، على دولة المماليك ، وإنما امتد إلى بقية مناطق المسلمين ، ففي هذا القرن شهدت مكة

المكرمة، صـراعاً مسـتمراً على السـلطة، بين الأشـراف

---

[11] - الأتابكية : ويعبر عن صاحبها بأتابك العسكر ، وأصلة (أطابك) ؛ ومعناه (الوليد الأمير) ، وأول من لقب بذلك نظام الدولة ، وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السـلجوقي ، حين فـوض إليه ملكشـاه ، تـدبير المملكة سـنة خمس وسـتين وأربعمائة ، وقيل : (أطابك) معنـاه ؛ (أمير أب) والمراد (أبو الأمراء) ، وهو أكبر الأمراء ، المقدمين بعد النـائب الكامل ، وليس له صــفة ترجع إلى حكم أو نهي ، وغايته رفعة المحل وعلو المقــام 0(صــبح الأعشى في صـناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشـندي ، شـرحه وعلق عليه وقـــارن نصوصه : محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، (لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1407هـ) ، 4/18

[1] - تاريخ المماالك البحرية ، ص120 -126

[2] - لأن أفرادها سكنوا أبراج القلعة لتمييزها عن دولة المماليك البحرية الذين أقاموا بجزيرة الروضة بالنيل 0

[3] - انظر : تاريخ المماليك البحرية ص137و البرق اليمان في الفتح العثماني ، ص7

[4] - انظر : البداية والنهاية 14/649 و التاريخ الإسلامي العهد المملوكي ، محمد شـاكر، ط 1 (بيروت : المكتب الإسلامي) ، ص 35-36 ، ومأثر الأنافة ، ص 135

أنفسهم ، وأصبح كل واحد منهم يخطب ود دولة المماليك ، لنصـرته على خصـومه، مما جعل دولة المماليك تبسط سلطتها على مكـة المكرمة [1] ، وكـذلك كـان الحـال في معظم البلاد الإسلامية ، كما مر بيانه 0

4- الحــروب الصليبية :

هجمة شرسة من الغرب تعرضت لها الأمة استمرت ما يزيد على قـرنين من الـزمن ، من عـام 490 إلى عام 702هجري [2] ؛ لأسباب عديدة ، فهناك من جعل دافع تلك الحـروب الحالة الاقتصـادية في أوربا ، واعتقـاد الأوربيين أن البلاد الإسـلامية هي بلاد الـذهب والـثراء [3] ، وهنـــاك من جعل أســـبابها ، تخليص النصـــارى ـ حسب زعمهم ـ من ســـوء معاملة المســـلمين ، وتخليص بيت المقدس من الحكم الإسلامي ، ولهـذه الأسـباب وغيرها ، انتهز البابا [4] هــذه الفرصة ، ودعا ملــوك أوربا إلى غــزو العالم الإسلامي ، وعلى أثر ذلك بدأت الحملات الصــليبية ، والــتي كــان من آثارها الاســتيلاء على عديد من ديــار المســلمين ، ومن ضــمنها بيت المقــدس ، وعــاثوا فيها فسـاداً وسـفكوا فيها الـدماء الكثـيرة ، وغنمـوا الأمـوال الطائلة[5] ، ولم يـدم الحـال للنصـارى طــويلاً ؛ لأن هـذه الحروب قد أثرت على المسـلمين تـأثيراً بالغـاً ،ومع ذلك فقد توحـدت الصـفوف واسـتعدت الجيـوش ، و اسـتيقظ المسـلمون ، وأحيـوا فريضة الجهـاد ، وأخــذوا يطهــرون المــدن الإســلامية من الغــزاة مدينة إثر أخــرى ، حــتى استطاعوا تصفية الوجود الصليبي من بلاد الشام في سنة 690 هجرية[6]

إلا أنهم - الصليبيين - اتخذوا من جزيرة أرواد[7] مقراً لهم

---

[1] - انظر : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص 65، 67

[2] - يـذكر بعض المـؤرخين أن الحـروب الصـليبية انتهت في عـام 690من الهجـرة ، وهـذا التحديد ليس دقيقـاً ؛ لأن هـذا التـاريخ هو تـاريخ تصـفية الوجـود الصـليبي من بلاد الشـام ، وليس نهاية الحروب الصليبية كليـاً ، وإنما تم القضـاء على الوجـود الصـليبي ودرء خطـرهم عن بلاد المسلمين في عام 702هجرية ، بفتح جزيرة أرواد ، التي اتخذها الصـليبيون قاعـدة ينطلقون منها لمهاجمة بلاد المسلمين ، بعد إجلاءهم من بلاد الشام 0

[3] -انظر : الإسلام والحضارة الغربية ، محمد كرد علي ، ط3 (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، 1968) ص294

[4] - البابا : جمعه بابـاوات ، والنسـبة إليه بـابوي : الحـبر الأعظم ورئيس البيعة المنظـور ، وخليفة القديس بطرس 0 (المنجد في اللغة والأعلام ، ص 24 ، باب الباء)

[5] - انظر البداية والنهاية ، 12/637- 638

[6] - انظر البداية والنهاية 12/ 725 و12/ 852 ، والجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، إبراهيم محمد أديمر المعروف بابن دقماق ، تحقيق سعيد عاشـور (طبع جامعة أم القـرى بمكة المكرمة) 300ـ 301 والجبهة الإسـلامية في عصر الحـروب الصـليبية ، د حامد غنيم أبو سعيد ، ط2 (القاهرة ، دار الثقافة 1404) 2/213-222

[7] - جزيرة في البحر قرب قسطنطينة (معجم البلدان 1/194)

، وبنوا لأنفسهم سوراً عظيمـاً يتحصـنون به من الغـزاة ، ولكنهم ما فتأوا يغيرون على سكان المـدن السـاحلية في بلاد الشـــــام ، مماجعل الســـــلطان الناصر محمد يجهز أسطولاً بحرياً ويغزوها ، فتم له فتحها في سـنة 702 هـ، وكانت من أضر الأماكن على أهل السواحل ، وكان فتحها من تمـام فتح السـواحل ،وأراح الله المسـلمين من شر أهلها [1] 0

---

[1] - البداية والنهاية 14/429 وانظر تاريخ المماليك البحرية ص 182

5- هجــوم التتار[1]:

في عام 656هـ تعرض العالم الإسلامي ، لهجوم شرس من جهة الشرق ، لم يسبق وأن تعـرض لمثله ، إذ قدم التتار من الشرق قاصدين مقر الخلافة الإسلامية في بغـداد ، فاسـتولوا عليها ، وقضـوا علي الخلافة الإسـلامية فيها وقتلـوا الخليفة [2]، وعـدداً كبـيراً من النـاس ومنهم نخبة من العلماء ، وقيل إن عدد من قتل ببغـداد في هـذه الأحداث ، بلغ ثمانمائة ألف ، وقيل ألف ألف نفس [3]، ثم زحفوا غرباً واسـتولوا على دمشق ، دون قتـال ومن غـير ممانعة ولا مدافعة ، ثم واصـــلوا الزحف يريـــدون مصر ، لكن الله خيب مســـعاهم ، إذ تمكن المســـلمون من صد هم، وهـــــــزيمتهم هزيمة نكــــــراء ، في معركة «عين جالوت»[4] وعلى أثر ذلك فر التتار وطـاردهم المسلمون حـتى أخرجـوهم من دمشق وحلب ، وأخضـعت بقية بلاد الشام لحكم المماليك ، وكـانت أخر معركة مع التتـار في سنة 702على مقربة من حمص [5] 0

ثانيــاً ـــ حالة الأمة في هــذا القــرن من الناحية الدينية والفكرية :

لقد عرف المماليك ما للعلم من قيمة ، فعملوا على تشجيع العلماء، وأجزلـوا لهم العطـاء ، فهبـوا لإحيـاء العلوم بعد النكبة الـتي قضت على الـتراث العلمي ، يـوم سـقوط بغـداد[6] ، فـازدهرت المـدارس والجوامع في كل من مصر والشام [7]، وغيرهما من بلاد المسـلمين ، ورغم

---

[1] - التتار : يطلق عليهم التتار والتتر ، وهم الذين اجتاحوا العالم الإسلامي في القرن السـابع من جهة الشـرق ومـوطنهم منغوليا جنـوب شـرق سـيبيريا على حـدود الصـين ـ (البداية والنهاية 31/98 ـ ومعـارك المغـول الكـبرى في بلاد الشـام ـ أكـرم حسن العلـبي ط1 دار المأمون للتراث ص29)

[2] - هو الخليفة المستعصم بالله (انظر البداية النهاية 13/240)

[3] - البداية والنهاية ، 13/238 ـ وتاريخ ابن الوردي ـ زين الدين عمر ابن الوردي ط1 (لبنان بيروت)، 2/189

[4] - عين جالوت : بليدة لطيفة بين بيسان ونـابلس من أعمـال فلسـطين (معجم البلـدان ـ 4/177

[5] - البداية والنهاية 13/258 والنجوم الزاهـرة في ملـوك مصر والقـاهرة ـ جمـال الـدين بن تغري بردي ط1(القاهرة دار الكتب العربية 1348) 2/160 وتاريخ ابن الوردي 2/243

[6] - اجتماع الجيوش الإسلامية ـ للإمام ابن القيم ، إعداد وتحقيق د : عـواد عبد الله المعتق ، ط1 ،(الرياض : مطابع الفرزدق ـ 1408 هـ) ـ مقدمة التحقيق ـ ص18

[7] - انظر: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ـ تأليف جلال الدين السـيوطي ، وضع حواشـيه خليل المنصـور ، ط1 ـ (لبنـان : بـيروت ، دار الكتب العلمية ـ 1418 هــ) 2/223وما بعدها ، والخطط ، 2/244-331 و2/360-403

هــذه النهضة العلمية ، وتوجه النـــاس لطلب العلم ، فقد استولت على المجتمع المســلم عــدة أوهــام وأحــاطت به جملة معتقدات لا تتفق ومذهب السلف 0

فقد انتشر مذهب الأشاعرة[1]بين الناس ؛ لأن بعض الــولاة تبع هــذا المــذهب ، فعمل على نشــره بين الناس بقوة[2] ، وكادت تندرس ، معالم مذهب أهل السنة والجمــاعة ، « إلى أن كــان - في أواخر القــرن الســابع - من سني الهجرة اشـتهر بدمشق وأعمالها تقي الــدين أبو العبــاس أحمد 000بن تيمية الحـــراني فتصــدى للانتصــار لمــذهب الســلف ، 000والــرد على مــذهب الأشــاعرة ،

[1] - الأشاعرة : نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، الذي كان أول أمره على مذهب المعتزلة ، ثم تركه وعاد لمذهب السـلف ، وهم أقــرب من غـيرهم إلى معتقد أهل السـنة والجماعة ، ومذهبهم مركب من خليط من الـوحي والفلسـفة ، وقد خـالفوا أهل السـنة والجماعة ، في عدة مسائل ؛ منها الأسماء والصفات ، ونفـوا التعليل في أفعـال الله مطلقـاً ، أما نسـبتهم إلى أبي الحسن الأشعري ، فإنها ليست سليمة لكون الأشعري قد تاب عن معتقدة الســابق ، وألف كتـــاب «الإبانة » و«مقـــالات الإســـلاميين » وقد بسط الكلام فيهما عن العقيـــدة الصـحيحة 0 انظـر: (الملل والنحل ، تـأليف محمد عبد الكـريم الشهرسـتاني ،تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، لبنان بيروت : دار الفكر بدون تاريخ طبع ، ص 94 و فـرق معاصـرة تنتسب إلى الإســلام ، تــأليف الــدكتور غــالب علي عــواجي ،ط3 الناشر دار لينة للنشر والتوزيع ، 1418 هـ ، ص 1059 و في علم الكلام ، تأليف دكتور أحمد محمود صــبحي ، ط 5 ، بيروت : دار النهضة العربية ، 1405، ص 43 و معجم ألفاظ العقيدة ، تصنيف أبي عبد الله عامر فالح ، تقديم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين ، ط1 ، (الرياض : مكتبة العبيكان ، 1417هـ ، ص42)

[2] - انظر : الخطط 2/358 ، حيث قال المقريزي :« فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيـوب ديـار مصر كـان هو وقاضـيه صـدر الـدين عبد الملك بن عيسى 000على مذهب الأشعري وحملوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب ثم في أيام مواليهم الملـوك الأتـراك واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تـومرت أحد رجـالات المغـرب إلى العـراق وأخذ عن أبي حامد الغزالي مذهب الأشعري 000 فلذلك صـارت دولة الموحـدين ببلاد المغـرب تسـتبيح دمـاء من خالف عقيدة ابن تومرت 000فكم أراقـوا بسـبب ذلك من دمـاء الخلائق ، لا يحصـيها إلا الله خالقها سبحانه وتعالى ، كما هو معـروف في كتب التـاريخ ، فكـان هـذا هو السـبب في اشتهار مـذهب الأشـعري ، وانتشـاره في أمصـار الإسـلام ، بحيث نسي غـيره من المـذاهب وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه ؛ إلا أن يكون مـذهب الحنابلة » وقـال ابن كثـير في أحداث السـنة الخامسة بعد السـبعمائة للهجـرة : « وحصل للحنابلة بالـديار المصـرية إهانة عظيمة كثيرة » 0 (البداية والنهاية 13/ 447) 0

وصدع بالنكير عليهم ، وعلى الرافضة[1]000» [2]

ومن الرافضة من قتل في القرن الثامن الهجري ، لقيامة بسب الشيخين[3]، وأصر على سبهم حتى حمل إلى نائب السلطان فأصر على سبهم وقوله إنهم على ضلال ، فحكم عليه بإراقة دمه[4]0

كما أن أذى الرافضة لأهل السنة ، في هذا القرن ، لم يقتصر على هذه الحوادث ؛ بل تعداه إلى إجبارهم ، على اتباع مذهب الرفض ، في بعض بلاد الإسلام [5]

وكان للباطنية[6] أيضاً دور في إيذاء المسلمين في هذا القرن ، كما بين ذلك شيخ الإسلام ، حين قال : « ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية، إنما استولى عليها النصارى ، من جهتهم ، وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين ؛ فهم مع النصارى على المسلمين ، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل ، و انقهار النصارى ، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار » [7] 0

---

[1] - راجع : منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام ابن تيميه ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، ط1، (طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1406) ، رداً على الرافضي ابن المطهر الحلي ، المتوفى سنة 726 للهجرة ، وكتابة منهاج الكرامة 0
والرافضة : أحد أصناف الشيعة ، وإنما سموا رافضة ، لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وهم مجمعون على أن النبي ، نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ، ضلوا بتركهم الاقتداء ، بعد وفاة النبي ، وإن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف ، وأبطلوا الاجتهاد في الأحكام ، وزعموا أن علياً كان مصيباً في جميع أحواله ، وأشهر فرق الرافضة ، الاثنا عشرية ، انظر (الملل والنحل ص 146 و مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، عني بتصحيحه هلموت ريتر ، ط3 ،(فيسبادن : دار النشر فرانز شتايز ، 1400) ، ص 16-17 ، و فرق معاصرة ، 1/208)
[2] -الخطط ، 2/359
[3] - هذه من عقائد الشيعة التي يتوارثونها ، جيلاً عن جيل ؛ ولم يقتصروا على سب الشيخين رضي الله عنهما ؛ وإنما شمل سبهم وطعنهم ؛ العديد من الصحابة ، واتهموا الصحابة بأنهم ارتدوا بعد وفاة الرسول إلا أربعة منهم ، ووصفوا الصحابة ، بأوصاف لا تليق بأحط الناس ، فكيف بمن اختارهم الله لصحبة نبيه ، (انظر منهاج السنة 4/ 268 ، و5/ 81 ، 461 و6/ 5 ، والشيعة وأهل البيت ، تأليف الأستاذ : إحسان إلهي ظهير ،ط6 (باكستان : لاهور ،الناشر إدارة ترجمان السنة ، 1404 هـ ، ص44)
[4] - انظر : البداية والنهاية 14/740
[5] - انظر : البداية والنهاية 14/466 ، إذ قال ابن كثير في حوادث سنة (710) للهجرة: « وفيها أظهر ملك التتر خربندا الرفض في بلاده ، وأمر الخطباء أولاً أن لايذكروا في خطبتهم إلا علي بن أبي طالب ، وأهل بيته ، 000وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهل البدعة ، 000 ولم يحج فيها أحد من أهل الشام بسبب تخبط وكثرة الاختلاف »
[6] - الباطنية : اسم يطلق على أتباع إسماعيل بن جعفر ، وقد تميزوا عن بقية الطوائف الشيعية باسم الباطنية ، والباطنيون يقولون بأن نصوص الشرع عبارة عن رموز وإشارات لها تأويلات باطنية تخالف ما يعرفة المسلمون منها ، لايعرفها إلا هم ، وظهرت دعوة الباطنية في أيام المأمون من حمدان بن قرمط ومن عبد الله بن ميمون القداح ، وأشار البغدادي إلى أن: الباطنية ليست من فرق ملة الإسلام ، بل هي من فرق المجوس (انظر الفرق بين الفرق ،عبدالقاهر البغدادي حقق أصوله وفصله وضبط مشكله وعلق حواشيه ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، لبنان بيروت : دار المعرفة بدون تاريخ طبع ص 22 و معجم ألفاظ العقيدة ص 62)
[7] - الفتاوى ، 35/150- 151 0 والمقصود بكلام شيخ الإسلام هنا : النصيرية 0

أما الصوفية قد انتشرت بطرقها المختلفة ، وأصبح لها مكانة في المجتمع ، وصارت الخوانق والربط[1] من دور التعليم[2]، وأصبحت تنشر بدعها بكثرة وأصبحوا يؤذون أهل السنة والمتمسكين بمنهج السلف ، كما حصل منهم تجاه شيخ الإسلام ، فقد تعرض لأذى الصوفية القبورية ؛ لأنه ألف في بيان ضلالهم وتحذير الناس من بدعهم ، وناظرهم حتى انقطعت حججهم[3]

وكانت محنة شيخ الإسلام مع الصوفية في مصر ، بسبب تطرق الشيخ إلى جوانب عقدية تمس أحوال الصوفية وبدعهم ،
وكلامه في ابن عربي [4]؛ فقام نصر المنبجي [5] وابن عطاء السكندري[6]، و آخرون ، بإثارة أتباعهم من الصوفية ، فاجتمع خلق كثير منهم ؛ من أهل الخوانق والربط والزوايا، واتفقوا أن يشكوا الشيخ إلى السلطان ، فطلع منهم خلق كثير إلى القلعة ، وكانت لهم ضجة شديدة لفتت انتباه السلطان واستعانوا عليه بالأمراء وغيرهم ، وذلك في شوال سنة 707هـ [7] 0

ولم يسلم من أذاهم الإمام الشاطبي ، حيث اتهم بمعاداة أولياء الله لأنه بيّن أحوال هؤلاء ، وأظهر مخالفتهم للسنة [8] 0

---

[1] - الخوانق : جمع خانقاه ، وهي كلمة فارسية معناها بيت ثم جعلت علماً على المكان الذي يتعبد فيه الصوفية 0
والربط : جمع رباط وهو بيت الصوفية وأصلة المكان الذي يرابط فيه المجاهدون في سبيل الله 0

[2] - الخطط ، 2/414

[3] - انظر : مؤلفات شيخ الإسلام في ذلك ومنها : الرد على الإخنائي ، تحقيق ودراسة الشيخ / أحمد بن مونس العنزي رسالة علمية مقدمة لجامعة الملك سعود لنيل درجة الماجستير في العقيدة ، من كلية التربية ، 1417هـ ، والاستغاثة في الرد على البكري ، دراسة وتحقيق الشيخ / عبد الله السهلي ، ط1(الرياض : دار الوطن ، 1417) والعقود الدرية ص 194 ،والفتاوى ج11

[4] - محي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي ، نزيل دمشق ، يلقب بالشيخ الأكبر ، فيلسوف ، صاحب التواليف الكثيرة ، منها : فصوص الحكم وهو أردئها ، والفتوحات المكية ، مات في ربيع الآخر سنة 638هـ 0 (انظر : السير 23/48 ـ 49)

[5] - هو : أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر الكبجي المنبجي ، صوفي له زاوية بالحسينية ، كان الجاشنكير يعتقد فيه ، وكان يغالي في محبة ابن عربي الصوفي ، مات سنة 719هـ ودفن بزاويته 0 انظر (ذيول العبر في خبر من غبر لشمس الدين الذهبي ، تحقيق : أبو هاجر محمد زغلول ، ط1 ، لبنان : بيروت ، الناشر دار الكتب العلمية 1405هـ ، 4/ 55) و(الدرر الكامنة 4/392)

[6] - هو : أبو الفضل تاج الدين أحمد بن عبد الكريم بن عطاء السكندري ، صوفي شاذلي ، كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيميه ، توفي سنة 709هـ ، انظر (الدرر الكامنة 1/ 275 والطبقات الكبرى للشعراني ، 2/20 ، والأعلام 1/222)

[7] - انظر : البداية والنهاية 14/ 445 العقود الدرية ص 270 والاستغاثة 1/ 28

[8] - انظر : الاعتصام للإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي ، علق عليه وخرج أحاديثه محمود طعمه حلبي ، ط1 ، (لبنان : بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1418 هـ) ، 1/16-17 ، و فتواه في الإفادات والإنشادات دراسة وتحقيق الدكتور : محمد أبو الأجفان ط2(بيروت مؤسسة الرسالة 1406)ص176

وكان بعض السلاطين يُعين على هذه الضلالات والانحرافات ، ببناء الأضرحة والقباب ، ليزورها الناس ويتوسلوا بها رجاء كشف الضر عنهم ؛ويلقب شيخ الصوفية في هذا القرن ، بشيخ الشيوخ ، وأصبح الناس يرجون بركتهم[1]0

إلا أن بعض السلاطين كانوا يحاربون البدع وأهلها ، ولا يرضون بها، ولا يقرونها، ومن هؤلاء : السلطان الناصر محمد بن قلاوون، الذي وجه رسالة لأمير مكة سنة 700هـ ، يطلب منه منع الآذان الشيعي[2] من الحرم ، وكذلك منع الإمام الزيدي[3] من الصلاة بأتباعه في المسجد الحرام ، وقد أجاب أمير مكة طلبه [4] ، ومنع الآذان الشيعي في المسجد الحرام ، وكذلك منع الإمام الزيدي، من إمامة طائفته بالمسجد الحرام 0

وإزاء هذه الحالة ، نشط علماء الأمة المتمسكون بمذهب السلف ، في مقارعة أهل البدع والضلال ، بالدعوة للدين القويم، والمذهب السليم ، من خلال الدروس والمحاضرات والمناظرات والإفتاء [5]، ولم يبالوا بالسجن والأذى الذي لحق بهم من جراء مواقفهم الجهادية ، ومن أبرز هؤلاء العلماء ، شيخ الإسلام ابن تيميه ، ومؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي والحافظ عماد الدين ابن كثير والشاطبي وابن رجب وابن مفلح ،

---

1 - انظر : الخطط 2/380و434 ، وحسن المحاضرة 2/226

2 - المقصود بالآذان الشيعي قولهم : (حيّ على خير العمل) في الآذان ، قال شيخ الإسلام ابن تيميه :« إن حيّ على خير العمل لم يكن من الآذان الراتب ، وإنما فعله بعض الصحابة لعارض ، تحضيضاً للناس على الصلاة »، وبالجملة فلا يصح من المرفوع ولا من الموقوف على الصحابة في هذه اللفظة شيء ، وكله باطل لا أصل له ، سوى أثر ابن عمر رضي الله عنهما ، وقد فهمه جمع من العلماء على غير وجهه ؛ فإن ابن عمر رضي الله عنهما لم يكن يؤذن في السفر ، وإنما كان ينبه لها بعدة ألفاظ ، ليست في الآذان تحضيضاً للناس على الصلاة 0 (الفتاوى 23/103 ، وانظر: معجم المناهي اللفظية ، بقلم بكر عبد الله أبو زيد ، ط3 ، الرياض : دار العاصمة للنشر والتوزيع 1417 ص 242-243 والأذكار من كلام سيد الأبرار ، محيي الدين النووي ، اعتنى به وفهرسه محيي الدين الشامي ، ط3 بيروت : دار المعرفة ، 1409 ، ص43 ، و الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ص67

3 - الزيدية : أقرب فرق الشيعة من أهل السنة والجماعة، كما أن نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين ، ومن عقائدهم أنهم يجيزون الإمامة في كل أولاد فاطمة - رضي الله عنها - والإمامة ليست بالنص ، ولا يقولون بالمتعة ، ويقرون خلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان، -- ويميلون إلى الاعتزال فيما يتعلق بذات الله ، ويقول البعض منهم : بعصمة أربعة من أئمة البيت وهم : علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين -0 -انظر: (الملل والنحل ص154 ومعجم ألفاظ العقيدة ص207)

4 - انظر : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ج1-2 تحقيق محمد زيادة وج3-4 تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1956-1973)، 1/940 ، والأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ص67

5 - انظر البداية والنهاية 14/454وما بعدها والعقود الدرية ص194 والإفادات والإنشادات ، ص176

وغـيرهم من أعلام السـلف في هـذا القـرن [1]، فـأثمرت جهودهم علماً غزيـراً ونافعـاً ، امتـدت أثـاره حـتى العصر الحاضر فلله الحمد والمنة0

أهــل الذمة [2] :

من اليهود والنصارى ، فقد كانت أحوالهم في القرن الثـامن الهجـري، تتفـاوت تبعـاً للحـاكم الـذي يتـولى السلطان، وكذلك تصرفات أهـل الذمة أنفسـهم ، تحـدد نوعـاً ما أسس العلاقة بينهم وبين المجتمع الإسـلامي ، وما ينعمون به من أمن وسـلام ، وحرية العمل والعبـادة ، فإذا أظهروا القوة والجـبروت ، واحتقـار المسـلمين ، زاد عـداء المسـلمين لـهم ، وإن أظهـروا التواضع والسـكون سمح لهم المسلمون بحرية العباد والعمل[3] 0

وفي بداية القرن الثامن الهجري ، ونتيجة لتصرفات بعض أهل الذمة ، فرض عليهم عدم بناء كنـائس جديـدة ، والاكتفـاء بما هو قـائم من الكنـائس القديمة ، و ألزمـوا بلبـاس زي مغـاير لـزي المسـلمين ، فكـان زي النصـارى العمائم الزرق وشد الزنـار[4] في أوسـاطهم ، ومنعهم من ركوب الخيل ، وألزم اليهود بلبس العمائم الصـفر ، وذلك حتى لا يختلط أمرهم على المسلمين [5] 0

---

[1] - انظر تراجمهم في الباب الرابع من الرسالة 0

[2] - الذمي :هو الكافر الذي يقيم في بلاد المسلمين، بعقد بينه وبين الدولة الإسلامية ، يصير به مواطنـاً من مواطنيها ، وطالما أن الذمة عقد ؛ فلابد فيه من التراضي ، فلا يجـوز للسلطان ولا لغيره أن يلزم الكفـار بالجزية ويقـرهم في دار الإسـلام ، إلا إذا التزموها ، وإلا وجب قتالهم ، ولا يجوز عقد الذمة للمشركين عرباً كانوا أو عجماً ، ولا للمرتدين 000، إلا أن يـدخلوا في دين من أديـان أهل الكتـاب ، ولا للبراهمة ونحـوهم من منكـري النبـوات (موسوعة فقه ابن تيميه، ص 2/ 689) ، وانظـر: (معجم لغة الفقهاء ، ص95)

[3] -انظر الخطط 2/498 و العلاقـات بين سـلطنة المماليك والممالك الأسـبانية في القـرنين الثامن والتاسع الهجري ، د: حياة ناصر الحجي ، ط1(الكويت 1980) ص167

[4] - الزُّنّار : بضم الزاي وتشديد النـون ، جمع زنـانير ؛ حـزام خـاص يشـده النصـراني على وسطه 0(معجم لغة الفقهـاء ، وضع أ0د : محمد رواس قلعه جي ود: حامد صـادق قنيـبي ، ط2 ،(الرياض : دار النفائس ، 1408هـ ص234)

[5] - انظر : الخطط ، 2/ 498-499

ثالثــاً ـــ حالة الأمة في هــذا القــرن من الناحية الاجتماعية :

كل مجتمع من المجتمعات ، لا يخلو من طبقات متعـددة، وهـذا حـال الأمة الإسـلامية ، في القـرن الثـامن الهجري ، فقد كان المجتمع مكوناً من طبقات : الحكام ، والعلماء ، والتجار ، وعامة الناس0

ولاشك أن طبقة الحكام هي الطبقة الأقـوى والمستأثرة بالنصـيب الأكـبر من خـيرات الأمة ، أما طبقة العلماء فمنهم من يصدع بالحق ويـأمر بالمعــروف وينهى عن المنكر ، غير مبالٍ بما يحصل له من العقاب ، ومنهم مـن آثر الراحة والسـلامة ، ثم تـأتي طبقة التجـار الـتي تملك الأموال والأقوات ، وأخـيراً تـأتي طبقة العامة الـتي تتـأثر بما يــدور بين الطبقــات الأخــرى ، من صــراعات وتتحمل العبء الأكبر من النتائج والآثار0

ثم إن هذا المجتمع قد تأثر بما مر به من أحداث عاصفة ، من حروب وهجرات واختلاط مع الأمم الأخرى ، من تتــار [1] ويهـود ونصـارى [2]، فدخلته عـادات وأفكـار جديـدة ، نتيجة لاختلاطه بأجنــاس مختلفة ، كما انتشــرت بعض المعاصي والمفاسد في هـــــذا القـــــرن ، وبعض المنكرات[3] وغلاء الأسعار ، والأمراض الفتاكة ، وحصـول المجاعات الشديدة، حتى أكل الناس الميتة[4] 0

مقارنة هذا القرن بالقرن الذي قبله :

لعل في استعراض الحالة السياسية ، والدينية ، والفكرية،والاجتماعيـة، السـابق ، ما يعطي بعض الملامح ، عن أحوال الأمة في القرنين السابع والثامن الهجـريين ، ويمكن بيان أهم الملامح الرئيسة لهما في ما يلي :

---

1 - انظر تاريخ الممالك البحرية ص140

2 - انظر الخطط 2/ 498-499

3 - انظر البداية والنهاية 14/615 وتـــاريخ ابن الـــوردي 2/319 والعقـــود الدرية ص194 وحسن المحاضــرة 2/235 0 ومن المنكـرات الـتي تفشت : شـرب الخمر ، ومصـاحبة المردان ، والأمرد : هو الشاب الـذي لم تنبت لحيته بعد ، وتحـرم الخلـوة بـالأمرد ولو كـان غير حسن ، ولو كانت هذه الخلـوة ، لمصـلحة التعليم والتـأديب 0(موسـوعة فقه ابن تيميه 1/ 315، 317)

4 - انظـر: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، عمر فروخ ط1، (دار العلم للملايين ، 1972م) ، ص548 ، وتاريخ المماليك البحرية ص135 ، ومآثر الأنافة ، 2/ 173

أولاً القرن السابع :

تميز بحدثين كبيرين ، وهما استمرار الاحتكاك مع الصليبيين ، وهجوم التتار، وبالتالي سقوط الخلافة الإسلامية في بغداد في 656 هـ، وزوال الأهمية السياسية لبغداد ، ثم انتقال الخلافة الإسلامية إلى القاهرة ، التي أصبحت مقر الثقل السياسي 0

أما التصوف في القرن السابع فقد بلغ أوجه ، وظهرت له رموز كبيرة[1] وأحدثت بعض الطرق التي لم تكن معروفة في القرون السابقة[2]

وأما باقي الفرق فقد حاولت نشر مذاهبها وأفكارها ، حتى نتج عن ذلك بعض الصراعات [3]0

ثانياً القرن الثامن :

تميز عن القرن السابع بانحسار العدوان الخارجي ، وبكثرة الصراعات الداخلية على السلطة ، واستمرار الفرق[4]المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، نشر آرائها الباطلة بين الناس ، وخصوصاً الصوفية، التي انتشرت وقويت ، وأصبح لها الكثير من الربط والزوايا ، واعتبرت هذه الربط والزوايا من دور التعليم ، وأصبح يزورها السلاطين والقادة [5]

واتخذت القبور والأضرحة للأولياء والصالحين وللمشايخ الصوفية ، أمكنة تزار وتشد لها الرحال وتمارس فيها شركيات كثيرة[6]0

كما تميز القرن الثامن بالازدهار العلمي ، وكثرة المدارس والجوامع في كل من مصر والشام ، وغيرهما من بلاد المسلمين[7]

أما الحالة الاجتماعية ، فهي متقاربة في هذين

---

[1] - أمثال : ابن عربي ت638هـ والشاذلي ت656هـ والبدوي ت675هـ وابن الفارض ت 632هـ وغيرهم

[2] - كالطريقة الأحمدية والشاذلية والمولوية 0

[3] - انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير (دار بيروت للطباعة والنشر 1386هـ) 12/197 و470 ، وتاريخ الإسلام حسن إبراهيم حسن ، ط1 ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1967) ، 4/277 ، وندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ، ص233

[4] - أمثال الباطنية ، والإسماعيلية ، وغيرهما من الفرق 0(انظر ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر) ، ص233

[5] - انظر : حسن المحاضرة 2/229-230

[6] - انظر : ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ص 234

[7] - انظر : ص 58

القرنين ، نتيجة لما مر به المجتمع من أحـداث، وحـروب، واختلاط مع الأمم الأخرى[1] 0

أولاً - نشأة التصوف :

إن الذين كتبوا في نشأة التصوف ، اختلفوا في تحديد العصر الـذي ظهر فيه هـذا المصـطلح ، وتظهر اختلافـاتهم في تحديد الفـترة التاريخية لظهـور هـذا المصـطلح ، هل كـان موجـوداً في الجاهلية ، وتجـدد ظهوره مرة أخـرى في الإسـلام ؟ أم أنه لم يظهر إلا في الإسلام ؟ وكل فريق يورد من الروايات ما يسـند رأيه ، و يستنبط من الأحداث ما يوافق وجهة نظره:

ويمكن بيان ذلك فيما يلي :

أ : موقف الفريق الأول ، الـذي يـذهب إلى أن التصـوف عُرف قبل الإسلام :

ويمثل هـذا الفريق ، الرواية الـتي أوردها الإمـام الطـبري[2] في تاريخه بسـنده[3] : « كـانت صـوفة تـدفع الناس من عرفة ، وتجـيزهم إذا نفـروا من مـنى إذا كـان يوم النفر ، أتوا لرمي الجمار، ورجل من صـوفة يـرمي ، للنـاس ، لايرمـون حـتى يـرمي ، فـإذا فرغـوا من رمي الجمـار ، وأرادوا النفر من مـنى ، أخـذت صـوفة بنـاحيتي

[1] - انظر : ص 66
[2] - محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر ، مفسر ، مقرئ ، محدث ، مؤرخ ، أصولي ، مجتهد ، ولد بآمل طبرستان ، في آخر سنة 244هـ ، واستوطن بغداد ، توفي ليومين بقيا من شوال ، سنة 310 هـ في بغداد 0 (معجم المؤلفين ، 9/147)
[3] - عن ابن حميد ، قال : حدثنا سلمه بن ابن اسحاق ، هذا الحديث عن يحـيى بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد 0

العقبة ، فحبسوا الناس وقالوا : أجيزي صوفة ، فلم يجز أحد من الناس حتى ينفذوا ؛ فإذا نفرت صوفة ومضت خُلي سبيل الناس ، فانطلقوا بعدهم ، 000قد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دَيْن في أنفسهم ، من عهد جرهم[1] وخزاعة[2]000»[3]

فالطبري - بما رواه - يرى أن صوفة هم ؛ جماعة من العرب معروفون في الجاهلية، يعتقد الناس ولايتهم ، فلم يكن الحجاج يرمون الجمار ، إلا بحضور رجل منهم ، ليتقبل الله منهم أعمالهم 0

وكذلك أورد ابن الجوزي بسنده[4] الرواية القائلة : « بأن قوماً كانوا في الجاهلية يقال لهم صوفة ، انقطعوا إلى الله -عز وجل - وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية »[5] 0

ويذكر أن هؤلاء القوم ينسبون إلى رجل في الجاهلية كان يدعى:(الغوث بن مر) .

ويورد ابن الجوزي رواية[6] أُخرى فيقول :« إن أم هذا الرجل كانت لا تلد إلا إناثاً فقالت : لله عليَّ إن ولدت غلاماً لأعبدنه للبيت ، ولما ولدت (الغوث بن مر) ، ربطته عند الكعبة فأصابه الحر ، فمرت عليه وقد سقط واسترخى ، فقالت : ما صار ابني إلا صوفة فسمي صوفة»[7]

ويرى ابن الجوزي أن في هاتين الروايتين دليلاً على أن أصل هذه التسمية كان موجوداً قبل الإسلام ومعروفاً عند عرب الجاهلية ،وأن من تعلق بالزهد من المسلمين فيما بعد وانقطع للعبادة ، فقد انتسب إلى هذا

1- حي من اليمن نزلوا مكة ، وتزوج منهم إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - وهم أصهاره ، ثم ألحدوا في الحرم ، فأبادهم الله - تعالى - ، وهم أول من ولي البيت بعد ولد إسماعيل ، وكان ملك جرهم يومئذ الحارث بن مضاض ، (لسان العرب ، 12/ 97 ، باب الميم وانظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمؤرخ : أبي علي بن الحسين المسعودي ، الرياض : مكتبية الرياض الحديثة ، 2/49)

2 - خزاعة : حي من الأزد ، سموا بذلك ؛ لأنهم تخزعوا عن قومهم ، وأقاموا بمكة ، 00ووليت خزاعة أمر البيت ، وكان أول من وليه منهم عمرو بن لحي 000فغير دين إبراهيم وبدله » (القاموس المحيط ،ص 920 باب العين ، وانظر: مروج الذهب 2/56)

3 - تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (لبنان : بيروت ، دار سويدان ، بدن تاريخ طبع) 2/257

4 - بسنده عن وليد بن القاسم0

5 - تلبيس إبليس ، ص223 0

6 - بسنده عن هشام بن محمد السائب الكلبي 0

7 -تلبيس إبليس ، ص224 0

الرجل ، وهذه القبيلة .

ويورد السراج الطوسي رواية تؤيد قول من قال إن اسم التصوف عُرف قبل الإسلام ، فيذكر :« أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد ، وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفيّ ، فيطوف بالبيت وينصرف »

ثم قال : « فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يُعرف هذا الاسم» [1]

المناقشـة :

يمكن الجواب عن ما ذكره الإمام الطبري ، والحافظ وابن الجوزي ، من خلال النقاط التالية :

أولاً : إن هـذه القبيلة من العـرب ، غـير مشـهورة ولا معروفة عند أكثر النساك ، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ، ابن تيمية - رحمه الله - [2]

ثانيـاً : إن غـالب من تكلم باسم التصـوف ، لا يرضى أن يكـون منتسـباً إلى قبيلة في الجاهلية ، لا وجـود لها في الإسلام [3] ، وإن قَبِـلَ الصـوفية ذلك ، فهم منتسـبون لما كان في الجاهلية ، وليس لما جاء به الإسلام 0

ثالثـاً : قـال ابن الجـوزي نفسه :« وهـذا الاسم - أي التصـوف - ظهر للقـوم قبل سـنة مـائتين » [4] ، وهـذا ينـاقض قوله إن اسم الصـوفية والصـوفي قد عُـرف قبل الإسـلام ، وإقـرار منه بـأن هـذا الاسم حـادث ، ظهر قبل سنة مائتين هجرية .

أما السراج ، فلم يجزم بصحة الرواية التي أوردها؛ ولـذلك فلا مـرجح لتأكيـدها ونفيها ، كما أنه أورد رواية أخرى ، تخالف ما ذكره هنا، وهي أن التصـوف عُـرف في زمن الصحابة [5]

ب : مـوقف الفريق الثاني :

لقد تبنى هذا الفريق الرأي القائل إن هذا الاسم حـدث في عصر الإسـلام ولكن اختلفـوا في تحديد

[1] - اللمع ، ص42-43
[2] - الفتاوى ، 11/16
[3] - الفتاوى ، 11/ 16
[4] -تلبيس إبليس ، ص225
[5] - انظر : اللمع ، ص42

الفترة الزمنية لظهوره على قولين :

القـول الأول :

يـرى أصحاب هـذا القول إن هذا الاسم عُرف في القـرن الأول من هجـرة رسـول الله وفي مقدمة هـؤلاء السـراج الطوسي الـذي أورد في كتابه (اللمع في التصـوف) بعض الأقـوال ، حـاول أن يثبت من خلالها أن هذا الاسم وجد في القرن الأول ، وفي عصر الصحابة ؛ فقـال : « وأما قـول من قـال :إنه ــ أي التصـوف ــ اسم محـدث أحدثه البغداديون ، فمحال؛ لأنه في وقت الحسن البصري [1] كان يُعرف هـذا الاسم وكـان الحسن قد أدرك جماعة من أصـحاب رسـول الله وقد رُوي عنه أنه قـال :« رأيت صوفياً في الطـواف فأعطيته شيئاً ، فلم يأخـذه وقال: معي أربعة دوانيق[2] فيكفيني ما معي »[3] .

فالسراج الطوسي يريد أن يقول: إن ورود هذه الرواية عن الحسن البصـري رحمه الله وهو من مواليد عام 20 هجرية . يدل على أن التصوف كـان معروفـاً في زمن مبكر من الإسلام .

ويُرد على هذه الرواية بأن الحسن البصري رحمة الله وإن كـان قد ولد عـام 20 من الهجـرة ؛ إلا أنه عـاش حتى عام (110) للهجرة 0

وبهذا يكون قد عاش عشرة أعوام في بداية القرن الثـاني الهجـري، فيحتمـل أنه رأى هـذا الصـوفي في آخر حياته ؛ أي في بداية القرن الثـاني الهجـري ، وليـس في القرن الأول للهجرة كما يريد إثبات ذلك السراج 0

وبهذا فلا مرجح لأحد الاحتمالين على الآخر؛ لأنهما متساويان[4]

---

[1] - هو الحسن بن أبي الحسن البصـري ، أبو سـعيد إمـام أهل البصـرة ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، أبوه مولى زيد بن ثابت وأمة مولاة أم سلمة ، كـان يغلب عليه الخـوف ، حـتى كـأن النـار لم تخلق إلا له وحـده ، تـوفي عشية الخميس مستهل رجب سنة 110هـ 0(انظر : شذرات الـذهب ، لابن العماد الحنبلي، (بيروت : دار إحياء الـتراث العـربي) ، 1/ـ 136 ، وصـفوة الصـفوة ، 4/ـ 10 ، و الطبقـات الكـبرى للشـعراني 1/29 وجـامع كرمـات الأولياء يوسف إسماعيل النبهاني، المكتبة الثقافية 2 /21)

[2] - الدانق : جمع دوانق ودوانيق ، ؛ ضرب من النقود الفضية ـ وزنه ثماني حبات من الشعير ـ وهو ما يساوي 496ر0 غرام (معجم لغة الفقهاء ص 206)

[3] - اللمع ، ص42

[4] -انظـر : موقف الإمام ابن تيميه من التصوف والصـوفية ، الـدكتور : أحمد البناني ، ط1 (مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، 1406هـ) ص83

القـول الثاني :

يــرى أصـحاب هـذا القـول إن اسم التصـوف ظهر في عهد الإســلام ، وخلاصة ما أثبتــوه أن هـــذا الاسم ظهر في بداية القرن الثاني الهجـري وقد ذكر هذا شـيخ الإسـلام ابن تيمية ،وقبله ابن الجـوزي [1]، في أحد قوليه وكثير من العلمـاء، ومنهم بعض علمـاء الصوفية :

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - فيما يتعلق بظهـور هـذا الاسم أنه « في أثنـاء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك-أي عن الزهـد والزهـاد - بلفظ (الصــوفي) ؛ لأن لبس الصــوف يكــثر في الزهاد »[2]

وقال القشيري : « ... فانفرد خـواص أهل السـنة ، والمراعــون أنفاســهم مع الله تعـالى الحافظون قلوبهم عن طوراق الغفلة باسم التصـوف »إلى أن قـال:« واشـتهر هـذا الاسم - أي التصـوف - لهؤلاء الأكابر قبل المائتين الهجرية » [3]

وقد علق الهجـويري على كلام أبي الحسن البوشنجي[4] الذي قال فيه: « التصوف اليوم اسم بلا حقيقة ، وقد كـــان من قبل حقيقة بلا اسم » فعلق الهجــويري قــائلاً: « يعــني أن هــذا الاسم لم يكن موجــوداً وقت الصــحابة والســلف وكــان المعــنى موجــــوداً في كل منهم والآن يوجد الاسم ولا يوجد المعنى » [5] .

ولا يـسلم له القول بأن معنى التصوف موجود في كل منهم؛ لأن الصحابة والسلف ، كانوا زهاداً لا صوفية .

وقـال ابن خلـدون :إن « هـذا العلم - أي علم

---

[1] - انظر تلبيس إبليس ص 225

[2] - الفتاوى ، 11 /29

[3] -الرسالة القشيرية ، ص389

[4] - هو أبو الحسن على بن أحمد بن سـهل البوشـنجي وذكر الشـعراني أنه (البوسـنجي) كـان من فتيـان خراسـان كـان معظّمـاً للفقـراء حسن الخلق مات سـنة 348هــ (انظر ترجمته في الطبقـات الكـبرى للشـعراني 1/120) وترجم له القشيري وقـال هو أبو الحسن على بن أحمد بن سـهل البوشـنجي (انظر الرسالة القشيرية ص399) وترجم له السلمي في طبقـات الصـوفية ص458 ونظراً لاتفاق أكثر المصادر على أنه (البوشـنجي) نسـبة إلى بلـده بوشنج فقد أثبت الاسم الصحيح والله أعلم .

[5] -كشف المحجوب ص239

التصوف - من العلوم الشرعية الحادثة في الملة »[1] 0إلى أن قــال :«فلما فشا الإقبــال على الــدنيا في القــرن الثــاني وما بعــده ، وجنح النــاس إلى مخالطة الدنيا،اختص المقبلــون على العبــادة ، باسم الصــوفية والمتصوفة »[2] 0

أما المستشرق[3] نيكلسن [4] فأكد هذا الاتجاه بقوله : «ترجع نشــأة التصــوف في الإســلام إلى حركة الزهد العظيمة الــتي ظهــرت تحت تــأثير المســيحية في القــرن الســــابع الميلادي [5] كما هــو واضح من كتب وتــــراجم الصوفية التي تفيض بأخبارهم وأقــوالهم ، ومنهم كثــيرون من كبار زهاد العصر الأول» [6] ،

وللمستشرق ماسنيون[7] ، رأي مماثل لذلك ، إذ يقول : ورد لفظ الصوفي لقباً لأول مرة في التاريخ ، في النصف الثــاني من القــرن الثــامن الميلادي ، أما صــيغة الجمع الصوفية ، فظهــرت عــام 199هــ ، وكلمة صــوفي

---

[1] -مقدمة ابن خلدون ، ص381

[2] -مقدمة ابن خلدون ، ص381

[3] - الاستشراق : هو « دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من الدول الاسـتعمارية ، للشـرق بشـــتى جوانبه : تاريخه وثقافته ، وأديانه ولغاته ، ونظمه الاجتماعية والسياســـية، وثرواته وإمكانياته ، من منطلق التفـوق العنصـري والثقـافي على الشـرق ، بهـدف السـيطرة عليه لمصـلحة الغـرب ، وتبريـــر هـذه السـيطرة بدراسـات وبحـوث ونظريـات تتظـاهر بالعلمية والموضوعية »
قلت : ولا أنكر أن بعض المستشــرقين المنصــفين ، قــدموا دراســات مفيــدة عن الشــرق الإسلامي ، ولكن ذلك لا يوازي ما قدمه الآخرون من إساءات واضحة 0
(رؤية إسلامية للاستشراق تأليف الـدكتور أحمد عبد الحميد غـراب ، ط2،لنـدن : المنتـدى الإسلامي 1411هـ ص6) ، وانظر : (الاستشرق والمستشرقون مالهم وما عليهم تأليف الدكتور مصطفى السباعي ط3 ، بيروت :المكتب الإسلامي 1405هـ ص12وما بعدها)

[4] -هو رينولد ألين نيكلسن _ ويكتب أحياناً : نيكولسون و نيكولس _ مولده (1285هــ 1868م) ومماته (1364هــ - 1945م) ، مستشــرق انجلــيزي ، عــالم بالتصــوف الإســلامي ، تعلم في كمــبردج وغيرها ، ودرس العربية والفارسية ، ودرَّسهما ، واشترك في نشر تذكرة الأوليـاء للعطـار ، و(اللمـع) للســراج ، وله كتب بالانجليزية منها : تــاريخ الآداب العربية ـــ ومتصــوفو الإسلام ودراسات في التصوف الإسـلامي ترجمه إلى العربية أبو العلا عفيفي ونشر بها 0 (الأعلام 3/ 39).

[5] -القرن السابع الميلادي يوافق القرن الثاني الهجري

[6] -في التصوف الإسلامي ، بقلم ماسنيون ومصطفى عبد الرازق ،ط1 (دار الكتـاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، 1984)ص69

[7] - لـويس ماسـنيون مستشـرق فرنسي من العلمـاء ، من أعضـاء المجمعين العربـيين في دمشق والقــاهرة ، مولــده ووفاته ببــاريس ، تعلم العربية والفارســية والتركية والألمانية والإنجليزية ، وعـني بالآثـار القديمة ، واسـتهواه التصـوف ، فكتب مصـطلحات الصـوفية ، وأخبار الحلاج ، وغيرها من الكتب 0 (الأعلام 5/247)

كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة [1][2]

ونظراً لكثرة المؤيدين لهذا الرأي القائل :إن التصوف اصطلاح حادث ظهر في القرن الثاني الهجري ، ولقوة أدلتهم ، وقناعتي بذلك ، رجحت صواب هذا الرأي ، والله تعالى أعلم 0

ثانياً :تطور التصوف :

التصوف شأنه شأن أي فكر وسلوك ، في بداياته الأولى ، يبدأ بسيطاً غير منظم ، ثم يتدرج في مراحل وأطوار حتى يصل إلى مرحلة النضج ووضوح المعالم ، التي تميزه عن غيره ، وهكذا كان التصوف ، في أول عهده ، كان على سمة السلف ، في العقائد والأصول، وكانت مخالفاته محصورة في بعض مظاهر التعبد والسلوك ، والمبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ، وأغلب ذلك منشؤه الجهل0

قال شيخ الإسلام واصفاً اعتقاد الرواد الأوائل من الصوفية : «وهذا الاعتقاد غالبه موافق لأصول السلف وأهل السنة والجماعة ، ولكنه مقصر عن ذلك ومتضمن ترك بعض ما كانوا عليه ، وزيادة تخالف ما كانوا عليه» إلى أن قال : « والثابت الصحيح عن أكابر المشايخ يوافق ما كان عليه السلف ، وهذا هو الذي كان يجب أن

---

[1] - انظر : التصوف ، ص 26 -27

[2] - وهما بذلك يخالفان رأي بعض المستشرقين؛ أمثال: ثولك ، وفون كريمر ، ودوزي ،الذين يرون أن أصول التصوف ، تعود إلى أصول هندية ، وفارسية ، ومجوسية 0 انظر (في التصوف الإسلامي وتاريخه ، تأليف رينولد أ نيكولسون ، نقله للعربية وعلق عليه أبو العلا عفيفي ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر 1366 ص هـ وما بعدها)

يذكر»[1] 0

هذه حال أسلاف الصوفية الأوائل ، أما أتباعهم فلم يحافظوا على ذلك النهج ، بل مع مرور الزمن تجارت بهم الأهواء ، حتى دخلتهم الرهبانية[2] ، وسلكوا مسالك الأمم الغابرة الهالكة ، ثم مازال الأمر ينمي حتى وصلوا إلى القول بأن للشريعة ظاهراً وباطناً ، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم ، وأحدثوا بالدين ما لم يكن فيه ، فمن هؤلاء من قال : بالحلول ، ومنهم من قال : بالاتحاد، نسأل الله السلامة0

ففي أواخر القرن الأول ، وبداية القرن الهجري الثاني ، بدأت بذور الصوفية ، وبدأت طلائعها ، ويتمثل ذلك ، في ظهور الرهبانية ، والتشدد في العبادة [3] ، ولهذا غالب ما يحكى في هذا الباب إنما هو من عباد البصرة ، مثل حكاية من مات أو غشي عليه من سماع القرآن ، ونحوه؛ كقصة زرارة بن أوفى[4] ، قاضي البصرة ، فإنه قرأ في صلاة الفجر:]فإذا نقر في الناقور[[المدثر: 8]، فخر ميتاً ، وكذلك غيره ممن روي أنهم ماتوا باستماع قراءته ، وكان فيهم طوائف يصعقون ، عند سماع القرآن، ولم يكن في الصحابة ، من هذه حاله ، فلما ظهر ذلك ، أنكر طائفة من الصحابة والتابعين [5] 0

وفي القرن الثالث بدأت طلائع الصوفية الطرقية [6] ، والحلولية ، وعظمت الشطحات [7] الصوفية ،

---

1 - الاستقامة لابن تيمية ، تحقيق د: محمد رشاد سالم ط2(القاهرة : مكتبة السنة1409هـ) 1/82 ، و انظر : الفتاوى ، 11/6 وتلبيس إبليس ص 226 ومقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ، 1/136

2 - الرهبانية : هي التخلي عن أشغال الدنيا ، وترك ملاذها ، والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها (المعجم الوسيط 1/ 377 ، مادة رهبة)

3 - الفتاوى ، 11/6 ، والتصوف والصوفية ، ابن تيميه ، ترتيب وتحقيق محمد طاهر الزين ، ط1(مكتبة السندس 1413هـ) ص10ومقدمات في الأهواء 1/125

4 - الإمام قاضي البصرة ، أحد الأعلام ، صلى صلاة الصبح ، فقرأ] يا أيها المدثر [حتى بلغ] فإذا نقر في الناقور [، خر ميتاً ، سنة 93هـ (انظر : حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الأصفهاني ، دار الفطر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2/258)

5 - مثل : أسماء بنت أبي بكر و عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهم - و محمد بن سيرين وغيرهم 0(التصوف والصوفية ص 11)

6- الطريقة : هي السيرة المختصة بالسالكين ، إلى الله تعالى ، من قطع المنازل والترقي في المقامات ، (التعريفات ، ص136)

7 -الشطح : عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ، ودعوى ، وهو من زلات المحققين ، وقول كلام أجوف بلا التفات ومبالاة ، مثل الكلام الذي يقوله الصوفية ، عند غلبة الحال والسكر ، فلا قبول لهذا الكلام ، ولا يؤخذ به ؛ ومثاله قول ابن عربي : « أنا أصغر من ربي بسنتين » وقول البسطامي : « سبحاني ما أعظم شأني» ، وقول الحلاج: « أنا الحق »
(التعريفات ص 133) وانظر (معجم المصطلحات الصوفية ص104) و (كشاف اصطلاحات الفنون ، التهانوي ، طهران 1947 م ، 4/ 94)

وأحوالها البدعية[1]

ولهذا هجر الإمام أحمد بن حنبل[2] - رحمه الله - الحارث المحاسبي[3] لأنه تكلم في علم الكلام[4] [5] 0

قال الإمام الذهبي : «المحاسبي كبير القدر ، وقد دخل في شيء يسير من الكلام ، فنُقم عليه » [6] 0

وفي هذا القرن اتهم بعض الصوفية بالقول بالحلول والزندقة ، أمثال: أبي يزيد البسطامي[7] ، لأنه كان يقول: أشياء عظيمة الشأن؛ منها « سبحاني» ، و « ما في الجبة إلا الله »

وهو القائل :

أريدك لا أريدك للثواب ولكني أريدك للعقاب
وكل ما مأربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب[8]

ولما تكلم في ذلك رماه أهل عصره بالعظائم ونفوه ، سبع مرات0

---

[1] - مقدمات في الأهواء 1/125-126

[2] - الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس 000بن بكر بن وائل ، - أحد أئمة المذاهب الأربعة - شهرة إمامته ومناقبه وبراعته و زهادته ، كالشمس ، ولد ببغداد سنة 164هـ ، وتوفي يوم الجمعة ببغداد سنة 241 هـ وله سبع وسبعون سنة0 (المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، 1/ 70)

[3] - الحارث بن أسد المحاسبي ، كنيته أبو عبد الله ، من علماء مشايخ القوم ، له التصانيف المشهورة ؛ منها : كتاب الرعاية لحقوق الله وغيره ، وهو أستاذ أكثر البغداديين ، وهو من أهل البصرة ، مات ببغداد سنة 243هـ ، (طبقات الصوفية ، ص 56)

[4] - انظر : دراسات في التصوف الإسلامي ، تأليف الدكتور : محمد جلال شرف ، (بيروت : دار النهضة العربية، 1404هـ) ، ص 121-122

[5] - علم الكلام : هو علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو ، وقد ذم بعض السلف علم الكلام فقالوا : العلم بالكلام هو الجهل ، والجهل بالكلام هو العلم ، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام ، قيل : زنديق ، أو رمي بالزندقة ، وأرادوا بالجهل به اعتقاد عدم صحته ، وقال الإمام الشافعي : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام ، ولا يدخل تحت الذم من رد على أهل البدع وأهل الكلام خاصة بعلمهم ، لأن معرفة أصول علمهم ، مطلوبة للرد عليهم، وكذلك فعل بعض السلف ، أمثال شيخ الإسلام ابن تيميه ، فقد رد على أهل الكلام بلغتهم وكذلك الفلاسفة وأهل المنطق ، بل وتفوق عليهم في معرفته لأصولهم ، وكشف زيغهم وبطلان استدلالاتهم 0 (انظر : الفتاوى 10/ـ 366-367 و18/ 224- 225 ، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، للإمام أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء ، القاهرة : دار الحديث ، 3/ 455 ، والتعريفات ، ص164 ، وشرح العقيدة الطحاوية ، تأليف الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له ، د: عبد الله عبد المحسن التركي ، وشعيب الأرنؤوط ، ط2 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1413 هـ ، ص 17-18 ، و مقدمة ابن خلدون 363 وانظر : في علم الكلام 1/ 15 - 20) 0

[6] - سير أعلام النبلاء ، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، ط 11 ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1417 هـ) ، 12/ 111-112

[7] - طيفور بن عيسى بن سرشان أبو يزيد البسطامي ، كان جده مجوسياً ثم أسلم ، مات سنة 261هـ 0
(انظر : الكواكب الدرية 1/442-443والرسالة القشيرية ص 395 وطبقات الصوفية 67)

[8] - هذان البيتان ينسبان أيضاً إلى الحلاج ، ولكن الصحيح أنهما للبسطامي 0(أنظر ديوان الحلاج ، صنعه وأصلحه ، د: كامل مصطفى الشيبي ، ط1 ، بغداد : مكتبة النهضة ، 1394 هـ ، قسم الأشعار المنسوبة إليه ، وليست له ، ص 68)

وأبو الحسين النوري [1]، الذي قال عنه الطوسي :«وأبو الحسين النوري من الواجدين ، ومن أهل الإشارات اللطيفة ، وله كلام مشكل ، وأشعار كثيرة» [2] ، يشير بذلك إلى قوله :«أنا أعشق الله وهو يعشقني » وقوله عندما سمع أذان المؤذن : « طعنة وشم الموت ، وسمع نباح الكلب ، فقال: لبيك و سعديك»[3]

« وبالرغم من تحليل النوري ، لكلماته الصوفية ،وشطحاته الروحية ، على أساس من الكتاب ، إلا أنها تعتبر مدخلاً إلى مذهب الحلول»[4] 0

وفي القرن الرابع ، ظهرت الطرقية الضالة كما ظهرت من خلال التصوف المذاهب الإلحادية ، والحلول ، والاتحاد، ووحدة الوجود[5] 0

وذلك من خلال بعض شخصيات التصوف ، أمثال :الحلاج[6]، الذي قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية :

« من اعتقد ما يعتقده الحلاج ، من المقالات التي قتل الحلاج عليها ، فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين ؛فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ، ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد ، لقوله : أنا الله ، وقوله : إله في السماء ، وإله في الأرض»[7]

قال الشبلي[8] : « كنت أنا والحسين بن منصور الحلاج ، شيئاً واحداً ، إلا أنه أظهر وكتمت »[9] 0

« فالشبلي يعترف بالباطنية الصوفية»[10] ،

---

[1] - هو : أبو الحسين أحمد بن محمد النوري ، المتوفى سنة 295هـ (اللمع ص 492)

[2] - اللمع ص 493

[3] - اللمع ص492

[4] - دراسات في التصوف الإسلامي ص 204

[5] - مقدمات في الأهواء 1/127

[6] - الحسين بن منصور الحلاج البيضاوي ـ كان من أهل الشطح ـ وقد اختلف فيه الناس بين مكفر له ـ ومعتقد ولايته ـ وقتل بسبب زندقته وإلحاده ،سنة 309هـ ـ وادعائه أنه الرحمن الرحيم ـ (انظر : الكواكب الدرية 1/544 ـ والأعلام 2/ 260)

[7] - الفتاوى ، 2/ـ 480 ، وانظر : الرجال الذين تكلم عليهم شيخ الإسلام ابن تيميه في مجموع الفتاوى ـ جمعه وأعده : عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني ـ ط1(الرياض: دار الوطن ـ 1416هـ) ص 31

[8] - أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي ـ ولد في بغداد سنة 247 هـ ، وتوفي بها سنة 334هـ ، صحب الجنيد ومن في عصرة من العلماء 0 (انظر : الرسالة القشيرية ص 419)

[9] - دراسات في التصوف الإسلامي 265

[10] - الصوفية في نظر الإسلام ، سميح عاطف الزين ـ ط3 (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1405هـ) ، ص 340

«وحــرص كل الحرص ، على ألا يبوح بسره ، فلم يقتل ، مستخدماً مبدأ التقية [1] »[2]

إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية يعتذر عن الشبلي في بعض زلاته ويقول:« وهذه من زلات الشبلي التي تغفر له لصدق إيمانه وقــوة وجـده وغلبة الحـال عليـه ، فإنه كـان ربما يجن ويـذهب به إلى المارسـتان ، ويحلق لحيته ، وله أشياء من هذا النمط التي لا يجوز الاقتداء به فيها»[3]

وفي هذه المرحلة من التصوف ، خُلط الزهد بعبارات باطنية ، وظهـرت مصـطلحات جديـدة ، في كلام الصــوفية ، مثــل: الوحــدة [4] ، والفنــاء[5]، والحلــول [6]، والسكر[7]، والصـحو[8] ، والمقامـات والأحـوال[9]، وغيرها من المصطلحات الجديدة 0

كما شاع بينهم التفرقة بين الحقيقة[10] والشريعة[11] [12]، وتســمية أنفســهم أربــاب الحقــائق وأهل البــاطن ، فكانت هـذه المرحلة بحق تمثل البداية الفعلية ، لما صـار عليه التصوف حتى الآن[13] 0

---

[1] - التقية أصــلها عند الشـيعة وهي : أن تقــول أو تفعل غــير ما تعتقد ؛ أو أن تظهر ما لا تبطن ـ لتدفع الضر عن نفسك أو مالك أو لتحتفظ بكرامتك ، وزعمــوا أن الرســول فعلها عندما مات عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين ـ ويرى الشيعة أن التقية فريضة لا يقوم المــذهب إلا بها ـ ويتلقــون أصـولها سـراً وعلانية ـ ويتعــاملون بها خاصة إذا أحــاطت بهم ظروف قاسية 0(انظر : من عقائد الشيعة ـ جمع وترتيب : عبد الله بن محمد السلفي ، ط 1 ـ 1417هـ ، ص32-33 ، و فرق معاصرة 1/242)

[2] - متصوفة بغداد ـ عزيز السـيد جاسم ـ ط2 (الـدار البيضـاء : المركز الثقـافي العـربي ـ 1997) ـ ص 189

[3] - الفتاوى ، 10/ 556-557

[4] - انظر : ص 173-174

[5] - انظر : ص 203

[6] - انظر : ص 172

[7] - هو: غيبة بوارد قوي ـ وهو يعطي الطـرب والالتـذاذ ، وهو أقـوى من الغيبة ، وأتم منها 0 (التعريفات ـ 125)

[8] - هو : رجــوع العــارف إلى الإحســاس بعد غيبته ـ وزوال إحساسه 0 (التعريفــات ، ص 137)

[9] - انظر : ص 83

[10] - الحقيقة عند الصوفية : سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه 000ومحصل المعـنى الحقيقة اسم أطلق على الحق عند تحقيق كونه عين وجــود العبد وأوصــافه ، وقد تــبين ســقوط إضافتها عنه ـ فإنه تحققه بـالوجود وأوصـافه بـاق على عدمه ـ لم يشم رائحة ، 000 فليس للعبد في وجــود الحق إلا الحكم ، لا العين 0 (رشح الزلال في شــرح الألفــاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال ـ تأليف عبد الرزاق القاشاني ، تحقيق وتقديم : سـعيد عبد الفتـاح ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث ، 1415هـ ، ص89) 0

[11] - الشريعة عند الصوفية : عبارة عن الأمر بالتزام العبودية ـ وهو الانقيــاد للأمر في كل ما جاء به أمراً ونهياً 0 (رشح الزلال ـ ص 42)

[12] - وقع الصوفية بخطأ جسيم ، فضلوا وأضلوا ـ عند ما قسموا الدين إلى حقيقة وشــريعة ، وجعلوا الشريعة للعوام ، والحقيقة للخواص ، والحقيقة عند الصوفية تقابل الشريعة وتـؤدي إلى تعطيل الشرائع ـ بل إلى القول بالفناء والحلول والاتحاد ووحدة الوجود 0

[13] - انظــر: الموســوعة الميســرة في الأديــان والمــذاهب والأحــزاب المعاصــرة ، إشــراف وتخطيط ومراجعة ـ د: مانع بن حماد الجهني ، ط3 (الريــاض : الناشر دار النــدوة العالمية

وأما القرن الخامس ، فيعد امتداداً لأفكار القرون ، السابقة ، التي راجت من خلال مصنفات ؛ أبي عبد الرحمن السلمي[1] ، والتي قال عنها شيخ الإسلام ابن تيميه : « يوجد في كتبة من الآثار الصحيحة والكلام المنقول ، ما ينتفع به في الدين ، ويوجد فيه من الآثار السقيمة ، والكلام المردود ما يضر من لا خبرة له » [2]0

وما بين النصف الثاني من القرن الخامس ، وبداية القرن السادس ، حاول أبو حامد الغزالي [3] ؛ تقريب التصوف إلى مذهب أهل السنة [4] 0

وقد أثنى عليه شيخ الإسلام في مواضع ، وذكر من مزالقه ، في مواضع أخرى ، فقد ذكر أنه يميل إلى الفلسفة[5] ، ولكنه أظهرها في قالب التصوف ، والعبارات الإسلامية ، وقال في موضع آخر :« وفي كلامه مادة فلسفية كبيرة ، وكلامه في الإحياء غالبه جيد ، لكن فيه مواد فاسدة فلسفية ، ومادة كلامية ، ومادة من ترهات الصوفية ، ومادة من الأحاديث الموضوعة»[6] 0[7]

وأما في القرن السابع ،فقد ظهرت طرق جديدة ، وظهرت أعلام ورموز ، صوفية كبيرة [8]، وازدهر التصوف

للطباعة والنشر والتوزيع ، 1418 هـ) ، 1/258

[1] - محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم الأزدي السلمي ، (أبو عبد الرحمن) صوفي ، محدث ، مفسر ، مؤرخ ، حافظ ، ولد 325وقيل 330 هـ وتوفي 412هـ ومن تصانيفة : طبقات الصوفية وغيرها 0(طبقات الصوفية ، ص 16 ، ومعجم المؤلفين ، 9/ 258)

[2] - الفتاوى ، 1/578

[3] - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي ، المعروف بالغزالي (زين الدين ، أبو حامد) ، ولد 450 هـ وتوفي 505هـ ، متكلم ، صوفي أصولي ، فقيه ، مشارك بأنواع العلوم ، من تصانيفه الكثيرة : إحياء علوم الدين ، وتهافت الفلاسفة0، (معجم المؤلفين 11/266)

[4] - انظر دراسات في التصوف الإسلامي ص 121-122و الموسوعة الميسرة 2/261

[5] - الفلسفة : باليونانية محبة الحكمة ، والفيلسوف هو : (فيلاوسوفا) ، وفيلا هو : المحب ، وسوفا : الحكمة ؛ فالفيلسوف هو : محب الحكمة ، وقد قال العلامة ابن خلدون عن الفلسفة : وضررها في الدين كثير ، فوجب أن يصدع بشأنها ، ويكشف المعتقد الحق فيها 0 (الملل والنحل ص 312، مقدمة ابن خلدون ص441)

[6] - الفتاوى ، 4/63،66و6/54و17/ 362 والرجال الذين تكلم عليهم شيح الإسلام ص 38

[7] - الحديث الموضوع : هو الحديث المكذوب المُخْتَلَق المصنوع المنسوب إلى الرسول ، وهو أشر أنواع الحديث 0 (انظر: فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، للإمام شمس الدين محمد عبد الرحمن السخاوي ، شرح ألفاظه وخرج أحاديثه وعلق عليه ، الشيخ صلاح محمد عويضة ، لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1417هـ 1/273وتيسير مصطلح الحديث ، الدكتور محمود الطحان ، ط2 ،الرياض : مكتبة المعارف ، 1407هـ ، ص89)

[8] - من الطرق والرموز التي ظهرت في القرن السابع : (البدوية أو الأحمدية مؤسسها أحمد البدوي ، الشاذلية : مؤسسها أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي ، ويدعي أتباعها حتى اليوم أن سند طريقتهم ينتهي إلى الرسول والطريقة النقشبندية ، تنسب إلى بهاء الدين محمد البخاري ، وانتشرت في بلاد الهند وفارس ، والطريقة البرهامية ومؤسسها إبراهيم الدسوقي 0 انظر (الفتاوى 2/58 والكشف عن حقيقة الصوفية تأليف محمود القاسم ، ط2 (الأردن : عمان ، المكتبة الإسلامية ، توزيع دار طيبة ، مكة المكرمة ، 1413 ، ص359)

في الأنــدلس ، على يد ابن عــربي أحد رؤوس الصــوفية ورموزها الكبيرة [1] ، والمعـروف عند الصـوفية ، بالشـيخ الأكبر، وهو الذي أقام مـذهب وحـدة الوجـود ، وجعل منه مركباً سبح به الصـوفية في بحر لجي لا نجـاة لراكبه [2] ، حتى وصل -كما زعم - إلى أن الوجود واحد[3]

ويعد ابن عربي المؤسس لمذهب وحدة الوجود بشكله الكامل ، وجميع الذين سبقوه كـانت لهم اتجاهـات متفرقة ، حـول وحـدة الوجـود ، والـذين أتـوا بعـده كـانوا متأثرين به أو ناقلين عنه[4]

وفي القرون التالية اختلط الأمر على الصوفية ، وانتشــرت الفوضى بينهم ، واختلطت أفكــارهم ، وبــدأت مرحلة الدراويش ، وأهم ما تميزت به القرون المتـأخرة ، ظهـور ألقـاب ، شـيخ السـجادة ، وشـيخ مشـايخ الطـرق الصـوفية[5] ، وكـانت هـذه القـرون ، بوجه عـام امتـداداً وتفريعاً وشرحاً لكتب الرواد الأوائل من علماء الصوفية ، ورموزها الكبار0

وقد لخص ابن الجوزي أحوال الصوفية ، وما مروا به من أدوار، فقال: فكلما مضى قرن زاد طمعه - إبليس - في القــرن الثــاني ، فــزاد تلبيسه عليهـم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن ، وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صـــدهم عن العلم ، وأراهم أن المقصـــود العمل ، فلما أطفأ مصباح العلم ، عندهم تخبطوا في الظلمات ، فمنهم من أراه أن المقصـود من ذلك تـرك الـدنيا ، في الجملة ، فرفضـوا ما يصـلح أبـدانهم ، وشـبهوا المـال بالعقـارب ، ونسوا أنه خلق للمصالح ، وهؤلاء كانت مقاصدهم حســنة ، غير أنهم على غير الجـادة ، وفيهم من كـان لقلة علمـه، يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الضعيفة [6]، ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوسواس ، وجاء آخــرون فهذبوا مذهب التصوف وأفـردوه بصفات ميزوه بها [7] 0

---

[1] - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، 1/263

[2] - انظر : التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام ، ص 138

[3] - انظر : النبوات ، ابن تيميه ، (بيروت : دار القلم) ، ص119

[4] - انظر : الصوفية في نظر الإسلام ، ص 459

[5] - الموسوعة الميسرة ، 1/264

[6] - الحديث الضعيف : وهو ما لم يبلغ مرتبة الحسن ، ولو بفقد صـفة من صـفاته ، ويتفـاوت ضـعفه بحسب شـدة ضـعف رواته ، وخفته ، فمنه الضـعيف ، ومنه الضـعيف جـداً ، ومنه الواهي ، ومنه المنكر ، وشر أنواعه الموضـوع ، (انظـر: فتح المغيث شـرح ألفية الحـديث ، 1/111وتيسير مصطلح الحديث ، ص63)

[7] - مثل : الاختصاص بالمرقعة ، والسماع والوجد ، والرقص0

ثم مازال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً ، ويتكلمون بواقعاتهم ، فسموا علمهم بالعلم الباطن وجعلوا علم الشريعة ، العلم الظاهر ، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة ، فادعى عشق الحق والهيمان ، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ، ففسدت عقائدهم ، فمن هؤلاء من قال : بالحلول ، ومنهم من قال بالاتحاد ، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع ، حتى جعلوا لأنفسهم سنناً[1] تخالف ما كان عليه سلف الأمـة ، وأتباعهم المتمسكون ، بالكتاب والسنة ، وارتضوا لأنفسهم ، طريقاً مبتدعاً ، فحادوا عن جادة الصواب ، وعرضوا أنفسهم لمتاهات الزيغ والضلال 0

[1] - انظر تلبيس إبليس ص 225- 226 وكتاب الأربعين في شيوخ الصوفية لإمام أبي سعيد أحمد المـاليني ، تحقيق د: عـامر حسن صـبري ، ط1 ـ (لبنـان : بـيروت ، دار البشـائر الإسلامية ، 1417 هـ) ص 10 وما بعدها 0